روايات عبير



سارة كريفن

صخرة الأمنيات

١٨٥

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 185

صخرة الأمنيات

عندما تكون الحياة صحراء خالية من الحب، ماذا هناك غير سراب التمني؟ ولكن لكل امنية ثمنها، ومورغانا غير مستعدة لدفع الثمن في الوقت الحاضر. افلاسها العاطفي تغرقه في الحياة اليومية وفي علاقتها المترددة بروبير الذي يريدها زوجة له... حتى ظهور لوران فان كوسين، قريبها الثري الذي يعصف بكل شيء في طريقه. حب الامتلاك صفة طبيعية عنده، والحصول على ما يريد قاعدة ثابتة في سلوكه اليومي. يحاصرها بحضوره من كل جانب، ويطغى على وجودها... ولكن نفورها السلبي الذي هو ربما خوف عميق من الانجراف في تياره الكاسح يجعلها تفكر بالفرار والاختفاء. وقلبها كالورقة المتعلقة بغصن خريفي، لا تحتاج الا الى هبة ريح صغيرة... لتسقط.

لبنان	١٢ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	١٢ ل.س	الامارات	١٢ د	تونس	١٫٥٠٠ د	U.K.	£ 1.50
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١٫٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٥ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١٫٥٠٠ ر	مصر	١٢٥ ق	Cyprus	P 1.50

١ - الإرث الثقيل

كان المغيب يقترب رويداً رويداً في أواخر ذلك النهار من شهر اوكتوبر (تشرين الأول)، والعتمة بدأت تحتل اروقة نزل بولزيون. وبالرغم من ذلك كانت الأضواء ما تزال مطفأة ونار الحطب تحتضر في المدفأة.

مورغانا، في ثوبها الغامق ذي الأكمام الطويلة بدت وكأنها احد الظلال، واقفة بالقرب من النافذة، جامدة تنظر الى الحديقة التي يعصف بها الهواء، جامعة يديها لتخفي حالة التوتر التي تعيشها.

في الخارج اصبح الهواء عنيفاً يعصف بالمداخن ويلوي الأشجار، فعواصف الخريف معروفة في هذه المنطقة من شاطىء كورنواي. في السابق كانت مورغانا تغلق الستائر وتضع الحطب في المدفأة تاركة

الريح تشكو في الخارج، اما اليوم فيستحيل ذلك خاصة في هذا البيت.

انطوت الفتاة على نفسها وفي داخلها كل مشاعر الدنيا. فماذا عن حياتها في نزل بولزيون، وهو الوحيد الذي عرفته حتى الآن، وماذا ستفعل مستقبلاً بدون بيت ولا مهنة تجيدها؟ فبعد حصولها على الشهادة الثانوية بقيت في النزل لتساعد اهلها، فالنزل لا يورد دخلاً كافياً يسمح باستخدام العمال باستثناء الزا الطباخة التي لا ينسى احد أكلها الطيب، لكن الزا مسألة اخرى فهي تعمل لديهم منذ زمن طويل واصبحت وكأنها جزء من العائلة.

لم تكن الأشياء سهلة ابداً لكن مورغانا الشابة القوية كانت تنظر دائماً الى مستقبلها بعزم وصلابة وثقة... الى ان جاء اليوم، لشهر خلا، حيث تهاوت احلامها.

تبلع الفتاة ريقها بألم، فوالدها ظل يشكو لاسبوع تعباً مقلقاً وكأنه سوء هضم، ولم يشك احد بما اصابه. كان يبدو اصغر من عمره اضافة الى ممارسته السباحة والغولف والتنس وكان يبدو في احسن حال او هكذا كان يظن الجميع، حتى وقع ذات صباح متأثراً بذبحة قلبية.

ثمانية ايام والأم تقنع زوجها اثناء زياراتها في المستشفى بأن الذبحة لم تعد في ايامنا خطرة... لكن للأسف لم يكن ذلك وضع مارتن بينتريث الذي لم يستطع الاطباء انقاذه.

يوم الدفن كان تجربة قاسية ومطمئنة في الوقت ذاته فمارتن لم يكن يوماً رجل اعمال ناجحاً، ولا صاحب فندق يعيش لطموحاته، لكن اهل القرية جميعهم كانوا يحبونه واتوا يومها ليقدموا تعازيهم ويروحوا عن مورغانا التي كانت تطلب من الله ان يساعدها. لكن القدر كان

بالمرصاد، فالمآسي كانت تنتظر اليزابيت بينتريث وابنتها. يوم قراءة الوصية عند كاتب العدل السيد تريفيك الذي استقبلهما بوجه صارم وصوت جاد على غير المعتاد اخذت مورغانا تسمع قراءة الوصية وكأنها في كابوس، فكلمات مثل «فقرة خاصة» او «وريث ذكر» كانت تهوي عليها كالصخور وتهوي معها احلام المستقبل. فجأة فتح الباب ليقطع على الفتاة حبل ذكرياتها الأليمة وتسمع صوت والدتها تقول متأثرة:

- شيء فظيع يا عزيزتي، فقد اتصلت منذ لحظة بماريك اطلب فحماً لمدفأة المياه الحارة لأن الآنسة ميكنتز كانت تشكو من عدم وجود مياه ساخنة في غرفتها، واذا بصوت يجاوبني بأننا اذا لم نرسل مبلغاً على الحساب فلن نحصل على الفحم، فهل تتخيلين؟

- هذا ليس غريباً (تنهدت الفتاة قائلة لوالدتها) فنحن لم نكن يوماً ما اغنياء واليوم لا نملك حتى النزل لكي...

- آه مورغانا، قاطعتها السيدة بنتريث: لا تقولي هذا الكلام.

- هذه الحقيقة (أجابت الفتاة) فالمالك الجديد يستطيع ترحيلنا ساعة يشاء، الا تعرفين بنود الفقرة الخاصة؟ السيد تريفيك شرحها لنا مفصلاً.

- هذا ليس عدلاً، خاصة اننا في زمن يدين التفريق بين الجنسين.

ابتسمت الفتاة بضعف ونظرت الى والدتها قائلة:

- هذه حجة مهمة، لكن طالما لا نملك ما ندفع به ثمن الفحم فكيف تريدين تمويل دعوى قضائية مكلفة مادياً؟

نظرها كان يتجه في تلك اللحظة الى المكتب الذي تراكمت عليه الفواتير غير المدفوعة وبعض الوصولات بينها وصل نادي الغولف الذي كان والدها عضواً فيه. عندما كان والدها حياً كانت

لامسؤوليته تجاه المسائل المادية تبدو مدهشة فقط او مؤثرة، اما اليوم فهي تأخذ بعداً مأساوياً.

جلست الوالدة على الكنبة الكبيرة وهي تقول:

ـ هذا ليس عدلاً ابداً، انه شيء مريع فجيل لم يهتم يوماً ما بالنزل وأشك بأنه تشاجر مع والدك قبل رحيله بقصد الا يعود الى هذا المكان ابداً لأنه لا يهمه ولا يحبه.

ـ اذن فقد بر بوعده في رأيك حتى الآن... الا اذا عاد ليقيم الدنيا ويقعدها.

ثم اكملت حديثها وهي تجلس بالقرب من والدتها على الكنبة:

ـ ألم يحدثك والدي عن هذه الفقرة ابداً؟

ـ آه... بلى. ولكن بشكل غامض. فعندما تزوجنا ذكر لي شيئاً من هذا القبيل ولكن لم يكن يحب التحدث بهذا الموضوع اضافة الى انه لم يبحث معي التفاصيل... وبعد ولادتك ألمح الي عن نيته بالغاء الفقرة لكن التكاليف المادية منعته على ما اظن... وانت تعرفين كم كان يتجنب الحديث عن المشاجرة ويرفض سماع اسم جيل.

ـ نعم، اعرف ذلك.

تعرف كم كان التلميح الى ذلك الماضي يضع والدها في حالة كبيرة من الغضب ونتيجة تجميعها لكل ما كانت تسمعه استطاعت مورغانا معرفة كيفية واسباب ذلك الشجار الشهير. فالمشكلة تعود الى جيلين مضيا ذلك حين تشاجر جدها مع مارك احد ابناء عمه لسبب غير معروف، وبعدها ترك مارك النزل نهائياً. وبعد سنوات طويلة على تلك الحادثة جاء ابنه جيل بهدف انهاء الخلاف ووضع حد لتلك المشكلة. لكن اقامته حينذاك فتحت الجروح القديمة وعززت

الضغائن فرحل هو ايضاً بدوره.

منذ اجيال عديدة وعائلة بينتريث تتعاقب على نزل بولزيون، فأجداد مورغانا زرعوا الأراضي الخيرة واستغلوا ما تحتها من معادن وبنوا هذا القصر الريفي الجميل كرمز لنجاحهم، لكن نفاد المعادن من الأرض جر عليهم الخراب فباعوا الأراضي قطعة بعد اخرى باستثناء الحديقة المحيطة بالبيت. حتى المزرعة التي كان يحبها الجد كثيراً ويعتز بها اضطرت العائلة الى بيعها. بعد موت الجد قرر والد مورغانا تحويل البيت الى نزل بالرغم من مكانه المعزول وعدم اعتبار المنطقة سياحية.

تنهدت مورغانا:

ـ لو كان يدري الجد ان حفيد مارك هو الذي سيرث البيت!

ـ ربما لا يريد هذا الارث (اجابت الوالدة) ربما يرفض الاستفادة من هذه الفقرة.

ـ أأراد ذلك ام لم يرده فالبيت اصبح ملكه، لو كنت صبياً او هو كان فتاة لكانت المشكلة حلت من نفسها ولما كنا ننتظر الآن وصول رجل مجهول ليطردنا من البيت. ربما علينا حزم حقائبنا والرحيل من الآن حتى لا نتعرض للترحيل.

ـ اسمعي يا ابنتي، كيف يتسنى لنا ذلك؟ علينا ان نفكر بزبائننا في النزل قبل كل شيء.

ـ الآنسة ميكنز والماجور لاوسون لا يكفيان لدفع نفقات الفندق.

ـ لسنا في عز الموسم يا ابنتي!

ـ حتى في عز الموسم لم ير هذا النزل ذلك الجمع الغفير من الزبائن يملأ اروقته فالسواح يفضلون الحصول على المياه الساخنة دائماً، والجلوس بقرب مسبح ملحق بالفندق وتناول وجبات جيدة دائماً لا

تتغير نكهتها بتغير مزاج الطباخة.

- لكن الزا رائعة.

- بالطبع عندما تكون النجوم مؤاتية، او عندما تشير الى ذلك علامات فنجان القهوة الصباحي او ربما عندما لا تتكهن اوراق اللعب بمآس وكوارث تقلب مزاجها.

- ماذا تريدين منها اذا كان الله قد وهبها قدرة التكهن؟

- لو كان ذلك صحيحاً، لماذا لم تتنبأ بالبرد القارس في الموسم الماضي؟ لكنا تفادينا تفجر انابيب المياه في البيت..

- اهدئي يا ابنتي. ثم لماذا تبقين في هذه الغرفة بدون ضوء او نار... ضعي بعض الخشب في المدفأة فهي تكاد تنطفىء.

نهضت الوالدة واتجهت صوب المدفأة لتزكي نارها بينما همهمت ابنتها قائلة:

- كهرباؤه هو... حطبه هو... فنحن نبذر ارثه الآن.

- ليس في عائلة بيتريث من يمنع عن ابناء عائلته الكهرباء والدفء.

- لكنه غريب عنا، لا نعرف شيئاً عنه غير اسمه وانشغاله باعماله في اميركا التي منعته من حضور الجنازة، الى ان حضر محاميه يحمل برقية من ثلاث كلمات ليقول لنا فيها انه سيصل اليوم.

- لا بد انهم اخطأوا فقد هبط الليل الآن ولم يصل والمفروض ان يكون هنا في الصباح...

كانت النار قد عادت للتوقد في المدفأة فاستدارت الوالدة نحو ابنتها التي كانت تقول:

- ربما تعطلت سيارته او غير احدهم اتجاه اللافتة على الطريق، في هذه الحال يكون قد اتجه مباشرة الى البحر وغرق فيه.

- مورغانا (صرخت الوالدة مذعورة)... لا تتلفظي بمثل هذا الكلام. لا بل يجب الا تفكري به، سأتصل بالمزرعة واطلب منهم تنظيم التفتيش عنه.

- لا لزوم لذلك فالمآسي لا بد ان تصل في النهاية.

- لست قلقة اذن؟

- بصراحة... لا... لماذا يجب ان اقلق؟ لوران بيتريث مجهول بالنسبة الي. سيهزأ حتماً من نزلنا وربما لم يأت الى المنطقة ابداً حتى الآن. كل ما يعرفه سيكون حديث جده او والده عنا، وبالطبع كانت احاديث كاذبة... ففرعا العائلة لم يتحابا يوماً واذا وصل اليوم فسيكون فقط للحصول على الارث... أما احاسيسنا فلن تعني له شيئاً.

- لا تقولي هذا يا ابنتي... انت لم تعرفيه بعد!

- فعلاً، وهذه هي المشكلة فلا انا ولا انت نعرفه ولا هو يعرفنا طبعاً. ونتيجة للظروف التي تعرفينها، ألم يكن من الأفضل قيامه بمبادرة التعرف علينا سابقاً؟

- ألا ترين انه في وضع صعب؟

- ونحن؟ سيرث كل ما سنفقده، لذا كان عليه المجيء قبلاً للتعرف بنا. انه جبان لأنه لم يفعل ذلك.

- انك تناقضين نفسك يا مورغانا، فأنت تنتقدين مجيئه ثم تشكين من عدم مجيئه قبل عدة أيام على الأقل.

- لا ليست المسألة مسألة ايام واسابيع او سنوات. انا اقصد عدم مجيئه عندما كان والدي حياً، لكنا استطعنا التفاهم والحوار. الآن ماذا سيكون مصيرنا؟ هل تعرفين؟ انه يستطيع ترحيلنا فوراً.

اجابت الوالدة والقلق باد على محياها:

- لا استطيع الاعتقاد ان شيئاً مماثلاً ممكن الحدوث.

نظرت مورغانا الى والدتها نظرة عميقة متفحصة. فاليزابيت بيتريث عاشت حياة رغيدة بالرغم من قلة المال. زوجها كان يدللها كثيراً ويحميها فكيف ستواجه اليوم المصاعب القادمة؟

قامت الوالدة عن مقعدها واتجهت لتشعل الأضواء فالغرفة الكبيرة تحتوي على مصابيح عديدة عدا الثريا المعلقة في السقف التي قلما تضاء. الغرفة تستعمل كبهو لنزلاء الفندق عند تناول الشاي او العشاء، وهي ايضاً غرفة استقبال. هكذا كان يريد الوالد بينما مورغانا كانت وما تزال تعتقد ان على اهل البيت ايجاد غرفة استقبال خاصة بهم لوحدهم، وترك هذه الصالة الكبيرة للنزلاء. وبذلك لا يحجز احد حرية الآخر.

الآنسة ميكنتز التي ذرفت قليلاً من الدمع على صاحب الفندق لم تكن مدارية لمشاعر الباقين. فنقدها يزداد يوماً بعد يوم وشكواها ترتفع... صحيح ان عندها الحق في هذا النقد، لكن السعر الذي تدفعه لا يعادل في تدنيه نسبة المتطلبات التي تصر عليها وكأنها في فندق كبير فخم.

تأثرت مورغانا دون ان تبدو عليها ملامح الحزن عندما تذكرت حوار والدتها مع بائع الفحم. فهو ليس الأول ولن يكون الأخير في لائحة المطالبين بأموالهم. سخان المياه الكبير سيتعطل قريباً ويتوقف نهائياً عن العمل، ولن يجدي تخفيض جديد لاسعار النزل باقناع الزبائن بالاستحمام بالماء البارد، لذلك سيرحلون ولن يبقى مورد للرزق...

بالمقابل كانت مورغانا تفكر بهذا الموضوع وهي عالمة ان الوريث القادم يشغل تفكيرها. فماذا ستكون ردة فعله عندما يعلم بأن البيت

العائلي الكبير اصبح نزلاً ريفياً؟ سيغضب ربما! قالت لنفسها حائرة... ثم استدركت ان القادم لن يصل قبل الغد، فالساعة اصبحت متأخرة ومن المحتمل وصوله في الليل

- سأذهب لأرى اين اصبح تحضير الشاي، فالوقت اصبح متأخراً.

- لا بد ان الزا تأخرت عن قصد لانتظار ابن عمك يا عزيزتي.

ابن عمها، وقبضت مورغانا يديها عند سماع هذه الكلمة وهي خارجة باتجاه المطبخ. كان البرد قاسياً في ممر البيت الكبير لكن لحسن الحظ كان المطبخ دافئاً فطباخ الفحم الكبير كان مشتعلاً. وتذكرت الفتاة تلك الأكلات الطيبة التي كانت تطبخها الزا... عندما دخلت المطبخ كانت المرأة جالسة امام الطاولة الكبيرة تنظر الى ورق اللعب امامها.

- ادخلي يا ابنتي واغلقي الباب وراءك.

قالت لها دون ان ترفع نظرها بينما تقدمت مورغانا بحشرية تنظر الى ورق اللعب:

- هل فكرت بالشاي؟

- كل شيء جاهز، فالماء يغلي على النار.

الزا امرأة خمسينية مدورة الوجه والجسم ومن عادتها ان تضع في شعرها مجموعة من الملاقط البلاستيكية المتنوعة الأشكال والألوان، في هذا اليوم كانت اشكال الفراشات الخضراء والكلاب الصغيرة الحمراء هي التي تحتل جدائل شعرها مشكلة تنافراً واضحاً مع فوطتها الزرقاء اللون.

قالت بصوت جدي:

- لقد حضرت بعض الحلوى.

- تبدو لذيذة الطعم.

فتنهدت الزا قائلة:

- لا تركني للمظاهر فهذه الحلوى حزينة مثل هذا البيت ومثل الورق الذي امامي. تعب وشقاء، حزن وألم، يا ابنتي هذا مكتوب في الورق.

اضافت بعد صمت قصير:

- ثم هناك شاب أشقر.

- على الأقل لن يكون لوران، فأبناء عائلتنا جميعهم سمر البشرة.

- في هذه الحالة لا بد ان يكون هابطاً من السماء، حضري الشاي اذا سمحت وانا سأجهز الصينية.

مهما كانت الأسرار التي تحيط بهذه الحلوى فمنظرها يوحي بلذة طعمها، هكذا كانت تفكر مورغانا في سرها. ثم قالت:

- وماذا عن العشاء؟

- الجزار أرسل لي قطعة غريبة من اللحم. قال انها لحم بقر لكني أراها قاسية كالجلد.

- اذا طبخته جيداً فسيصبح طرياً ولذيذاً.

- سأفكر بالموضوع. على كل لست بحاجة الى فتاة صغيرة مثلك تقول لي في مطبخي ماذا افعل.

- طبعاً لا، ليس هذا قصدي.

قالتها مورغانا وابتسامة خفيفة تعلو شفتيها.

- افعلي ما هو افضل، اذهبي وغيري ثوبك بانتظار الشاب القادم الينا.

- لن افعل ابداً فثوبي لائق، ارتديته يوم وفاة ابي.

- آه، هذا الثوب هو الذي يستحق ان يدفن. على كل حال افعلي

ما يروق لك، فأنا اقول هذا لانك جميلة جدا لو اعتنيت بنفسك.

ضحكت مورغانا وقالت:

- لا تكملي يا الزا، فلست بحاجة الى كل هذا المديح.

- لا اظن، فأنت لست مدعية كباقي الفتيات.

خرجت مورغانا من المطبخ وابتسامة خفيفة على شفتيها، فهي تعرف ان الزا تلمح الى معرفتها بروبير وايلين دونيليفين اللذين اشترى والدهما مزرعة العائلة. وكيف استطاع هذا الشاب مع شقيقته تأسيس مدرسة لتعليم ركوب الخيل، ثم كيف توطدت صداقة قوية بينها وبين روبير وشقيقته لكنها لم تعرف حتى الآن لماذا لم تعجب الزا بايلين؟ ربما لانها لم تر في طريقة حياتها ما يستدعي الاعجاب. فالزا تعتقد ان مدرسة تعليم ركوب الخيل هي تسلية الاغنياء وليست وسيلة لكسب العيش. اما روبير فكان مختلفاً، رقيقاً وحنوناً لذلك حملت له مورغانا الكثير من المعزة وظنت ان مشاعرها يمكن ان تصبح اكثر عمقاً.

منذ موت والدها اصبح روبير اكثر عطفاً فهو يتصل يومياً ويرسل زهوراً باسمها. لكن اهله، وهي تعرف ذلك، يظنون ان ابنة النزل لا تليق بابنهم، فكيف اليوم بعد ان مات والدها وهي على وشك ان تفقد موارد عيشها؟ لكن موقف روبير منها لا يعبر عن ذلك. وهي مسرورة في داخلها لهذا الحنو المتزايد عنده... وقفزت الى مخيلتها صورته بوجهه الناصع البياض وشعره الاشقر وعينيه الزرقاوين الثاقبتين. انه اذن الشاب الأشقر الذي نوهت عنه الزا.

دخلت مورغانا الى الصالون فاختفت ابتسامتها عندما رأت الآنسة ميكنز جالسة على يمين المقعد حاملة حقيبتها في يدها وكأنها عوامة تقيها الغرق. المهم ان الآنسة ميكنز ليست شابة لكن تقدمها

في العمر تركها لطيفة ناعمة احياناً مما حبب مورغانا بها، خاصة ان حديثها يبدو وكأنه اعتذار دائم.

- هل تعرفين أين ذهب الآخرون آنسة ميكنز؟
- اعتقد ان الماجور لاوسون يحب التنزه قليلاً قبل تناول الشاي.

الماجور لاوسون رجل غامض يظهر دائماً لباقة زائدة ويرتدي ثياباً تليق به، ربما يعتبرها اناقة اصيلة بالرغم من عدم معاصرتها لاناقة اليوم. وهو عندما يصل الى الفندق يتقدم دائماً مع حقيبته ذات الجلد الاصلي، واذا ما سئل عن الجيش يجيب دائماً باقتضاب. انه انسان مستوحد لم تؤثر عليه حتى الآن غمزات العيون من الآنسة ميكنز، يحب التنزه ويقضي ساعات طويلة في غرفته يضرب على آلته الكاتبة الصغيرة التي لا يعرف احد ماذا يكتب عليها، لا بل لم ينتبه الى ذلك احد لو لم تقدم الآنسة ميكنز شكواها في احدى المرات من هذه الضجة التي لا تتوقف. لكن حشريتها لم تنته اذ لم يقدم الماجور اي تفسير لما يقوم به واكتفت مورغانا بتغيير غرفته بعيداً عن الآنسة ميكنز التي لحقتها خيبة الأمل.

فجأة شعرت الفتاة بحاجتها للخروج وتنشق بعض الهواء النقي، لا بل لبقائها وحيدة، فمنذ موت والدها اخذت تبتعد عن الناس قليلاً وتتفرغ للتفكير بمصيرها بهدوء وروية، وبينما كانت تخرج من الصالون فوجئت بوالدتها فابتسمت لها قائلة:

- سأخرج للحظة واعود.
- سأنتظرك يا عزيزتي.

وفي البهو تناولت مورغانا معطفها الواسع ووضعت قبعتها استعداداً للخروج حين رن جرس الهاتف فتناولت السماعة:

- نزل بولزيون.

كان صوت روبير على الهاتف يتكلم بنعومة ورقة:

- مساء الخير مورغانا. اتصل بك لاعرف اخبارك. فهل كل شيء على ما يرام؟ هل وصل ضيفك المنتظر؟ وكيف هو؟
- ليس لدي ادنى فكرة فهو لم يصل حتى الآن.
- حقاً، هذه ليست بادرة حسنة، الم يرسل خبراً او برقية بذلك؟
- لا، لا شيء.
- ربما وقع له حادث ما؟
- فكرت بذلك (قالت مورغانا وهي تضحك) فربما كان الآن مستقراً في قعر هاوية.

قال لها روبير وهي مستمرة في ضحكها:

- كم انت شريرة.
- كنت خارجة لتوي اتنشق بعض الهواء.
- ألن تأتي الى المزرعة؟
- في الحقيقة لا. . . فأنا اريد البقاء وحيدة. ارجو ان تفهمني.
- سأحاول، على كل حال يمكن ان امر متأخراً وآخذك لتناول قدح من الشراب بعيداً عن جو النزل.
- انها فكرة رائعة، فالى اللقاء مساء.

اقفلت مورغانا الهاتف وهي تفكر كيف لم يخطر على بالها الذهاب لرؤيته، فهو لطيف ويعمل ما في وسعه لمساعدتها على حل مشاكلها، ولكن لماذا تفكر بكل هذا، فهي لديها الآن مشاكل اهم واعمق، كانت تقول ذلك في سرها وهي تهيء نفسها اتقاء للهواء، والمصباح الكهربائي في يدها يضيء لها الطريق. وفجأة انتبهت انها تتجه في طريق الصخور الكبيرة المطلة على البحر، هذه الصخور الغريبة الكبيرة وكأنها طاولة طبيعية لذلك يسميها الدليل السياحي

«طاولة العملاق»، لكن اهل المنطقة يطلقون عليها اسماً شائعاً وقديماً هو «حجر الامنيات». وقصة هذا الحجر ترويها الاسطورة التي تقول ان على المتمني ان يضع يده عليها ويتمنى ما يريد، ثم يدور حول الحجر ثلاث مرات فاذا كانت الأمنية قابلة للتحقيق يهتز الحجر قليلاً من موقعه بينما تبقى قاعدته ثابتة.

مورغانا كانت تعتقد دائماً ان اليد هي السبب في اهتزاز الحجر. على كل حال هذه الصخرة موجودة من زمن سحيق في هذا المكان، لم يغير من شكلها كتابات العشاق والسواح عليها...

في طريقها نزعت مورغانا قبعتها وتركت شعرها لعبة للريح ووجهها للسعات هواء البحر المالح.

عندما وصلت الى مقربة من الصخرة نظرت حولها لترى التماع اضواء النزل من ناحية واضواء المزرعة من ناحية اخرى، بينما اضواء القرية تتوارى خلف التلة الصغيرة. انها منطقة جميلة رائعة لن تتركها ولن تسمح لغريب ان يطردها منها...

بهدوء ولكن بصوت عال كما هي العادة اقتربت مورغانا من الصخرة واضعة يدها عليها وتمتمت:

ـ اتمنى الا يأتي، وان يتخلى عن ارثه والا التقي به ابداً.

ثم دارت حول الصخرة ثلاث مرات كما هي العادة ووقفت تنظر الى الصخرة منتظرة اهتزازها. فهي التي لم تقتنع يوماً بهذه الخرافة تمنت اليوم من كل قلبها ان تهتز هذه الصخرة، لا بل ترتج ارتجاجاً عظيماً تلبية لرغبتها. لكن الصخرة بقيت جامدة صامتة لم تتحرك او تهتز وكأنها ترفض تحقيق الأمنية، فاعتمر قلبها غضب وحقد على هذه الصخرة التي تمنت لو تقتلعها من مكانها وتحطمها بقبضة يدها.

صرخت الفتاة بيأس:

ـ لماذا... لماذا لم تتحركي؟

وفي هذه اللحظة سمعت وراءها صوت رجل يقول:

ـ ربما لم تقومي بما يجب القيام به او ان امنيتك هي فعلاً غير قابلة للتحقيق.

ارتعبت الفتاة وكمّت فمها مانعة صرخة فزع من الانطلاق، وابتعدت عن ضوء مصباح كهربائي مسلط على عينيها وقد تسمرت في مكانها خوفاً وذعراً.

٢ - لن تكون وحيدة

كان قلبها يخفق بشدة من الخوف عندما رفعت رأسها باتجاه هذا الصوت الذي لا تعرفه، تعميها اشعة الضوء المسلط عليها فبدت امامها ملامح رجل طويل القامة ويبدو من لكنته انه غريب عن المنطقة.

كيف لم تسمعه آتياً؟ ربما صوت الريح، او تركيزها العميق على ما كانت تفكر به. المهم ان هذا الغريب راقب المشهد عن كثب بدون شك، وهذا ما زاد غضبها فقد كان يتجسس عليها ولم يشعل الضوء الا عندما انتهت حتى يزيد من تحقيره لها. لذلك قالت له بصوت قاس:

- أتحب التجسس على الناس؟

- ليس بالضرورة، لكني اعتقد ان ذلك يحمل فائدة كبيرة في

التعرف على الناس والمعتقدات. على كل حال اظن انك جئت قبل الأوان فساعة الفأل على ما اظن هي منتصف الليل وليس أوله.

لهجته الساخرة اغضبتها من جديد لكنها تمالكت نفسها وقالت:

- لست قارئة فأل.

اجابها ضاحكاً:

- عظيم. لكني اعتقد فوق ذلك انك غير موهوبة، فالصخرة يجب ان تتحرك على ما اظن، أليس كذلك؟

- كيف تعرف ذلك؟

- قرأت ذلك في دليل سياحي اشتريته في القرية، فهل تعتقدين ان مثل هذه الأمور تبقى سراً؟

- لا. بالطبع لا.

كانت مورغانا تستعيد هدوءها ورباطة جأشها بصعوبة، خاصة وان النور كان ما يزال مسلطاً عليها.

- انت على ارض خاصة، ألم يقل لك كتابك السياحي ذلك؟

وفعلاً كانت الأرض هي ملك النزل وتابعة له، لكن احداً لم يفكر يوماً بمنع الناس من المجيء الى هذه الصخرة. فهي ان منعته الآن فذلك لأنه حقرها بكلامه وسخر منها.

- حقاً؟ وماذا يقول المالك برأيك؟

- لا نحب الفضوليين هنا.

- لكن اهل كورنواي معروفون بكرمهم وضيافتهم، اما عن الحشرية فأنا هنا قبل مجيئك وكنت قد ابتعدت قليلاً عن الصخرة لأتأملها جيداً عندما خرجت من الظلام وبدأت سرد امنياتك.

- عندي الحق بالاعتقاد انني كنت وحيدة هنا، ثم لماذا لا تطفىء هذا الضوء المسلط على وجهي، اذا كنت قد انهيت مهمتك

بالتجسس على الناس؟

ترك الغريب الضوء مسلطاً عليها بالرغم من طلبها ذي اللهجة القاسية واجاب:

ـ هل انت عدائية دائماً؟ ثيابك الغريبة هذه ووجهك الجميل لا توحي جميعها بأنها المرة الأولى التي تتكلمين فيها الى رجل، اليس كذلك؟

ـ طبعاً لا. لكنني كنت دائماً اشاهد وجه محدثي، فضولك يجعلنا في وضع غير متعادل.

ـ هذا خطأ يسهل اصلاحه.

تغير اتجاه الضوء فرأت مورغانا امامها رجلاً طويل القامة بوجه رقيق الملامح مع فم صارم الشكل وأنف متعال، اما شعره الاشقر فكان اكثر اصفراراً من شعر روبير، مما جعلها تتذكر فوراً كلام الزا، وتشرد قليلاً في اضطرابها. اما الرجل الذي لاحظ هذا الاضطراب فقطع عليها تفكيرها قائلاً:

ـ يبدو عليك وكأنك تشاهدين شبحاً.

تملكت مورغانا رغبة عميقة لسؤاله من أنت؟ لكن الكلمات لم تخرج من فمها وعندما انطفأ الضوء وعادت العتمة تقلق هذه الطبيعة الرائعة الجمال، اقترب الرجل منها بهدوء بينما كانت تتراجع خائفة واضعة يديها اتقاء منه على وجهها، وفجأة وقعت الفتاة على ظهرها، فهب الشاب يساعدها ويشعل الضوء ليرى ما اذا كانت قد اصيبت بمكروه.

ـ هل اصبت بأذى؟ هل جرحت؟

ـ لا. لا لم يحصل شيء.

الحقيقة كانت غير ذلك فمفصل رجلها لا تستطيع الوقوف عليه

والألم يحز في داخلها لكنها لا تريد ابراز ضعفها امام هذا الغريب، ثم انها لا تريده قريباً منها الى هذا الحد.

ـ لم اقصد اخافتك بحديثي عن الاشباح، فلماذا هربت هكذا؟ كنت اسأل فقط لو انني اشبه احداً تعرفينه.

كانت تود ان تقول له وفعلاً انك تشبه اكثر من احد، تشبه جميع الوجوه المعلقة على اللوحات في بيتنا الكبير لكن الفرق هو انهم في اللوحات سمر الوجوه بينما انت أشقر الشعر. لكنها سكتت فلو كان الحظ معها لكانت افكارها هذه جميعها خاطئة وتمنت فعلاً لو تكون مخطئة في ظنها.

ـ ماذا تريدين ان تقولي؟

ـ لا شيء، او تظنني امضي وقتي ابحث عن الوجوه المتشابهة عند كل سواح المنطقة؟

ـ اظن انك تعرفين ما تريدين على الأقل.

ثم امسك بيدها بطريقة قاسية فصرخت في وجهه بغضب:

ـ دعني وشأني!

ـ ليس قبل ان تجاوبيني على اسئلتي، فما اسمك اولاً؟

ـ اذا كانت هذه طريقتك في التحرش بالفتيات، فاسمح ان اقول لك انها سيئة جداً ولا تعجبني.

ـ لدي رغبة عميقة للحصول على اعجابك.

وادار الضوء من جديد باتجاه وجهها، ناظراً الى ملامحها من جديد ثم قال:

ـ اعرّفك بنفسي، انا لوران بيتريث واذا لم اكن مخطئاً فأنت مورغانا.

ـ استنتاج باهر، وماذا تريدني ان افعل لتحيتك الآن؟

ـ لا حاجة لذلك فالوقت متأخر.

ـ كنا بانتظارك هذا الصباح.

ـ تأخرت غصباً عني.

ترك يدها وابتعد قليلاً، فتنفست مورغانا الصعداء.

ـ أعمالك هي التي اخرتك طبعاً؟

ـ الى حد ما.. نعم.

ـ ولم تقل لنفسك ان هناك من ينتظرني ومن المحتمل ان يقلق لهذا التأخير؟

ـ في الحقيقة لا ... لم افكر بذلك.

تناول الرجل علبة كبريت يشعل منها سيكاره الكبير فبدا وجهه وعلى ثغره ابتسامة ساخرة.

ـ لا اظن انني كنت منتظراً الى هذا الحد وهذه اللهفة في فندق بولزيون.

قال جملته مع قليل من القساوة فردت مورغانا:

ـ اظن انك لا تحب ان ترى البيت العائلي وقد تحول الى مؤسسة سياحية، لكن كونك رجل اعمال يجعلك تتفهم الموضوع.

ـ شخصياً، لا اصنف هذا الفندق مؤسسة تجارية.

فكرت مورغانا بهذه الأجوبة السريعة التي تنم عن معرفة وثيقة بكل التفاصيل، فمن أين له كل هذه المعلومات، هل قضى نهاره يسأل اهل القرية ام ان محاميه والسيد تريفيك وضعاه في الصورة؟ قررت ان تكون حذرة.

ـ لسنا فندق الهيلتون اعترف بذلك، لكن اعمالنا لا بأس بها.

ـ حقاً، يبدو انك الوحيدة التي تقولين هذا الكلام، فالفندق مدين للكثيرين الآن.

شعرت مورغانا وكأن الأرض تنشق تحتها لكنها تمالكت اعصابها وقالت بهدوء:

ـ هذا صحيح... للأسف، فهذه السنة كانت صعبة قليلاً.

ـ اذا لم اكن مخطئاً، فالسنوات الصعبة تتوالى منذ مدة.

كان جوابه صاعقاً لكنها لا تريد فقدان اعصابها.

ـ نعم هذه هي الحقيقة.

ـ لا اعلق اهمية كبيرة على ذلك، ثم انني اتساءل كيف لفندق في مثل هذا المكان ان ينتشل من ورطته؟

ـ ربما لاحظت في دورتك التفتيشية ان البولزيون ليس والكوت دازورو، ثم لديك الآن متسع من الوقت لاكتشاف اكثر من ذلك.

ـ للأسف ليس لدي الكثير من الوقت، سأذهب معك الى الفندق لأتعرف الى والدتك، هذا اذا كنت قد انتهيت الآن من دعواتك لهذا الحجر.

ـ سأرافقك.

قالت هذه الكلمة وهي تشعر ببرودة تخرق عظامها وبغثيان يغمرها.

وفجأة قالت:

ـ حسناً، لكن عليك ان تفهم انني لن اكون ضفدعة سهلة المنال.

ـ حتى الآن لا اراك الا ذئباً.

ـ اذا كانت اسماء الحيوانات تعجبك، فلدي مجموعة منها تناسبك تماماً.

قالت له هذه الجملة القاسية متصنعة اللطف ثم ادارت ظهرها سالكة طريق النزل دون ان تنظر الى الخلف، وكأنها كانت على ثقة

بأنه سيتبعها. وعندما وصلت الى الفندق فتحت الباب ودخلت الى رواق البهو حيث كانت والدتها تضع السماعة ثم تستدير لتقول لها:

ـ انه السيد تريفيك يا عزيزتي، لقد قال لي ان لوران بينتريث زاره هذا الصباح. فأين يكون الآن يا ترى؟

ـ هنا.

قالتها بصوت مسحوق ثم افسحت المجال ليدخل الشاب، فرأت الوالدة رجلاً طويل القامة اشقر الشعر يلبس سترة جلدية غامقة اللون وتحتها قميص من لونها، وبنطالاً رمادياً يبرز اناقته.

ـ آآآه.

خرجت هذه الزفرة من فم الوالدة لأنها لم تجد ما تقوله بعد هذه المفاجأة. لكن الشاب استدرك فوراً وقال:

ـ انها لحظة صعبة لنا جميعاً، لقد كنت اتمنى ان اتعرف عليكما في غير هذه الظروف.

كانت مورغانا تنظر اليه ملياً وهو يتحدث الى والدتها، انه فعلاً جذاب لكن هذا لا يعني شيئاً فطريقته الواثقة في الكلام وصوته المليء، لا بل حتى اناقته، كل هذا وكأنه آت من عالم آخر لا تعرفه. عالم لم يعرف التعب والشقاء، ولهذا ربما كانت تحتقره. اما الوالدة فلم تنس الواجب فقالت له:

ـ كنا على وشك تناول الشاي فهل تريد التفضل الى الصالون؟ سأطلب من الزا تحضير ابريق جديد...

ـ لا لزوم لذلك، ارجوك، فليس لدي الكثير من الوقت، ثم علي احضار سيارتي والذهاب الى ترورو.

ـ اذن لن تبقى عندنا هذه الليلة؟

ـ مرة اخرى ربما، عندها لن ارفض دعوتك المحبة.

ـ آه، طبعاً لا بد من ذلك.

قالتها مورغانا وهي تعض على اسنانها، بينما كانت الوالدة تنظر اليها فزعة ثم تقود الضيف الى الصالون بينما مورغانا لم تشعر الا ويد من حديد تمسك بيدها فتنشلها من افكارها.

ـ احاول جهدي ترطيب الجو، فلا تذهبي بعيداً بأفكارك السيئة. كل هذا افهمه جيداً ولا يضيرني. وانت لا تدركين انك تؤذين والدتك بهذا التصرف.

قال جملته بطريقة صارمة، ثم ترك يدها ناظراً اليها نظرة قاسية، مبتعداً عنها... اخذت طريق المطبخ حيث كانت الزا تنظف الصحون، فنظرت هذه قليلاً الى الخلف ثم قالت:

ـ يا الهي... هل البيت يحترق؟ ما بك في هذه الحال؟

ـ انه هنا.. لقد وصل.

ثم ارتاحت على كرسي بينما ردت عليها الزا:

ـ وماذا اذن؟

ـ ماذا اذن، ماذا اذن؟ هذا كل ما تستطيعين قوله، قلت لك انه هنا، انه اشقر الشعر ايضاً...

ـ نعم فالورق لا يكذب يا ابنتي. قلت لك... اشقر الشعر، الم وعذاب.

ـ فعلاً، فعلاً، وماذا نستطيع ان نفعل الآن؟

ـ لا شيء. ننفذ ما يطلبه منا، فلماذا تقلقين من الآن؟

ثم ناولتها فوطة المطبخ، فأمسكتها مورغانا وبدأت تنشف الصحون قائلة:

ـ لدينا كل دواعي القلق.

ـ لا اريد سماعها، ثم من حسن الحظ انه لن يبيت هنا هذه

الليلة. فأنا لا أتحمل التفكير انه يتقاسم معي سقف البيت.
- ستقاسمه أفضل لو جعلتني ازوره؟ فوالدتك مشغولة.
قفزت مورغانا من مكانها عند سماع هذا الصوت والتفتت الى باب المطبخ حيث كان يقف لوران، فوقعت الكأس التي كانت تنشفها من يدها وتحطمت على الأرض. تداركت الزا:
- انتبهي، يا لك من قليلة الانتباه. ثم لا تمسكي شيئاً، سألم الزجاج المكسور.
ثم استدارت نحو الشاب الواقف على الباب:
- لا تستمع اليها يا سيدي فهي قلقة جداً ولا تعني نصف ما تقوله.
- انه كاف حتى الآن.
ثم تقدم الى داخل المطبخ دون ان يعير مورغانا نظرة واحدة وقال:
- لا بد انك الزا، السند الرئيسي في هذا البيت، هذا ما تقوله السيدة بيتربث.
انهى كلامه بابتسامة ناعمة بينما كانت الزا تمسح عن يديها الماء وتمد احداها لتسلم على القادم الجديد الذي بدا من نظراته انه يتفحص المكان جيداً.
- لا بد ان هناك صعوبة كبيرة في عدم وجود غسالة صحون.
- الكمال لله يا سيدي، لكننا نتجاوز كل الصعوبات، والعمل لا يؤذي احداً.
- معك حق، تستطيعين الآن ان تعرفيني على اقسام البيت.
قال جملته بصرامة بالغة وهو يتوجه الى مورغانا التي كانت قد انزوت في طرف المطبخ وكأنها تختبىء من هذه المفاجآت المتتالية منذ

قدوم هذا الشاب، ابن عمها الذي لم تعرفه قط والذي يعرف كما يبدو كل شيء، بدليل انه طلب منها زيارة الاسطبلات القديمة.
- هل اوصلتم الكهرباء الى مرابض الخيل؟
- لا.
- اذن افضل ان اقوم بالزيارة في وقت لاحق وسأكتفي اليوم بزيارة الغرف الأرضية دون ان اعود الى البهو الرئيسي، فقد نلت حصتي اليوم من النظرات الغريبة.
- ربما تريدنا ان نطرد زبائننا ايضاً. على كل لم تصلنا تعليماتك لننفذها و...
- لم اقل هذا الكلام، واذا كنت تريدين مرافقتي لزيارة الغرف فأرجوك العجلة قليلاً فليس لدي وقت أضيعه.
افضل، قالتها في داخلها، ثم قادته بطريقة تشعره انها غير مهتمة بما يقوم او سيقوم به. اما كلماتها عن الغرف ومحتوياتها فكانت اشبه بكلمات عميل للايجار في نهاية نهار متعب. اما هو فلم يكن يتكلم الا لسؤال صغير محدد، حيث كان جوابها مقتضباً واحياناً كاذباً. فعن التدفئة قالت له انه لا توجد تدفئة مركزية لأن نار المدافىء في البيت كافية، ولم تكن تعرف ان والدتها كانت قبل قليل تشكو من قلة التدفئة.
مورغانا تعرف انها تكذب لكنها تتقبل بصعوبة الاعتراف بنواقص البيت امام هذا الغريب.
اثناء صعود السلالم تذكرت اللوحات المعلقة على الحيطان ولم تستطع نسيان التشابه بينها وبين الغريب الآتي من بعيد. قطعت الممر الطويل واتجهت الى غرفة اهلها التي تقيم فيها والدتها حتى الآن فتفحصها الشاب ثم قال:

- هل جميع غرف النوم تشبه هذه الغرفة؟
- عموماً نعم، لكننا نعطي الزبائن فرصة الاختيار، فهناك اسعار متفاوتة بالطبع.

ثم خرجت من جديد الى الممر يتبعها الشاب.

- لحظة من فضلك، اما نسيتِ شيئاً؟

استدارت الفتاة فاذا بالشاب يقف امام باب وضع يده على مقبضه فاستدركت:

- هذه غرفتي، هل تريد زيارتها؟

قالتها بجفاف واضح.

- اريد ان اتعرف على كل شيء. يخيل الي اني اوضحت ذلك؟

وبيد مرتجفة فتحت مورغانا باب غرفتها ومدتها تبحث عن زر الكهرباء. فالكل كان مقبولاً لكن ما الداعي لزيارة هذه الغرفة؟ كل شيء يخصها موجود هنا امام نظره، كل حياتها، البومات طفولتها بجانب الروايات التي تقرأها، دبها الكبير وزجاجة العطر... كل شيء هنا حتى ثوب النوم الشفاف ملقى بتأن على السرير.

تقدم الشاب الى وسط الغرفة، يداه في جيبه، ينظر الى كل شيء بامعان دون ان يلتفت الى حالة الاحتقار التي امتلكت مورغانا في تلك اللحظة.

- سأنتظرك في الممر.

قالت جملتها وخرجت شاعرة ان الدنيا تتغلب عليها وتمنت لو تستطيع الانتقام فوراً من هذا الرجل. بعد لحظات خرج لوران من الغرفة وتبعها وعلى شفتيه ابتسامة صغيرة.

لقد فعل ذلك عن قصد، كانت تقول لنفسها، فكيف ستدخل الآن الى غرفتها ولا تتذكر نظراته المقصودة الى اشيائها الحميمة...

- هذه اللوحات تمثل اجدادنا على ما اظن؟ فلماذا لا تعرفيني بهم؟
- انت تعرفهم افضل مني.
- انك تخطئين وتعرفين ذلك. حدثيني عنهم.

ساد صمت غامض بين الاثنين، بدا وكأن شحنات من التوتر تنطلق من كل منهما باتجاه الآخر. ثم رفعت مورغانا كتفيها وقالت:

- حسناً. هذا الذي على اليمين جوسيه بينتريث هو الذي بنى هذا البيت يوم كان استثمار الحديد في احسن ايامه. وهناك من يقول انه بنى الاسطبلات بأموال غير مشروعة، وانجب ولدين مارك وجيل وهما امامك في هاتين اللوحتين، جيل لم يسلك طريق والده بل تخطاه فهذا الساحل معروف بخطورته للمراكب ويبدو ان طبيعته كانت تتناسب مع العواصف. اما مارك فكان يمثل العكس...

ثم توقفت قليلاً مستدركة:

- مارك، جيل ومارتن كانت دائماً اسماء الرجال في عائلتنا.

فهم لوران فوراً ما تعنيه فقال:

- اسمي بالفعل هو اسم عائلة والدتي.
- اعرف ذلك، فلوحات النساء هنا هي لزوجاتهم التعيسات.
- هذه مثلاً لا اراها تعيسة ابداً.
- اي واحدة منهن تقصد؟ آه هذه جدتي.
- كانت جميلة جداً، لماذا ترتدي ثياب اميرة من القرون الوسطى؟
- كانت تمثل في مسرحية حينها، وتقوم بدور الجنية مورغان وجدي تعرف عليها في تلك المناسبة ووقع في غرامها، وبعد الزواج اصر على ان تكون لوحتها في هذه الثياب، كما اصر على والدي ان يسمي ابنته الوحيدة مورغانا.

- وها هي امامي.

- بالفعل، فاذا كنت اكتفيت بهذه اللمحة التاريخية تستطيع الآن اكمال الزيارة.

- مرة اخرى، اريد الذهاب الآن، لكن قولي لي اي غرفة كنت حجزتها لي؟ اريد ان اعرف بدافع الحشرية فقط.

- احدى غرف الجناح الشرقي.

- اذن ليس لي حق الاختيار مثل باقي الزبائن؟

- بلى، ففي النهاية انت الذي تملك الآن جميع الغرف.

- بالفعل، على كل حال فعلت جيداً بحجزي غرفة في فندق ترورو لهذه الليلة. الا يعجبك هذا الاختيار؟

نظرت اليه بعمق خفي صامت ثم اشتعلت قائلة:

- لا يهمني كل هذا، وفي جميع الأحوال سأترك لك هذا النزل عاجلاً ام آجلاً واذا احببت استطيع اخلاء غرفتي فوراً.

- ومن طلب منك اخلاءها؟

قال ذلك وهو يضحك ويمرر نظراته المتفحصة على قامة مورغانا من اخمص قدميها حتى قمة رأسها، فتضايقت من حركته وانتفضت:

- كيف تجرؤ...؟

- اجرؤ، ستعرفين اكثر عندما تعرفينني جيداً. فاذا كنت تشمئزين من فكرة مقاسمتك سقف البيت، فأنا ابدأ التحدي الآن وربما اتوصل يوماً الى اقناعك بمقاسمتي اكثر من ذلك.

- لقد فقدت عقلك. فالبيت وحده يخصك وليس انا.

- كل شيء ممكن الحدوث، انها الجنية مورغانا. فبالرغم من توسلاتك وامنياتك انا هنا وسأبقى.

ثم اقترب منها واخذها بين ذراعيه القويتين بالرغم من تصلبها

ومحاولتها التفلت منه. كانت مدهوشة لهذا التصرف المفاجىء ولم تحس باقترابه منها. ولم تتمالك نفسها حين افلتت منه ان تقول:

- انك وقح.

- بعد محاضرتك التاريخية قبل قليل اجد نفسي وفياً لأجدادي، اما انت فلست ابداً كجداتك.

وبدون ان ترد عليه ركضت مورغانا الى غرفتها واغلقت الباب بقوة، ثم استلقت على سريرها لاهثة وهي لا تعرف ماذا تفكر. من اين اتى هذا الغريب؟ وكيف تحققت المخاوف جميعها دفعة واحدة؟ ثم ما هذا الشعور الذي يمتلكها بعد عناقه المفاجىء؟ اغمضت عينيها تريد التخلص من صورته لكن رائحته ما تزال تعبق في انفها وصورته تحتل مخيلتها، وتلك القشعريرة التي احست بها عند ملامسته وكل هذه المشاعر جعلتها في حالة من الاضطراب والخوف. فهي بعد الآن لن تكون ابداً وحيدة في هذا البيت.

٣ - حرب الأعصاب

كانت مورغانا ما تزال مستلقية على سريرها، عيناها تشردان في الفراغ، عندما قرع الباب وكانت والدتها.

- ألا تريدين تناول العشاء يا عزيزتي؟
- لا. لا اريد، ثم اني لا اشعر بالجوع مطلقاً. كما ان روبير سيمر بعد قليل ونخرج سوياً فاذا احسست بالجوع سأتناول شيئاً معه.
- حسناً، كما تريدين، ولكن ما بالها الزا هذا المساء، تبدو غريبة قليلاً ثم انها لا تجاوبني على ما اطلبه منها. وبالمناسبة، كيف رأيت لوران؟ هل اعجبك؟ لقد بدا لي جذاباً.
- شخصياً لا احب استعمال هذا التعبير.

ثم توجهت الى طاولة التزيين وجلست امام المرآة بينما

اكملت الوالدة:

- عزيزتي، لقد كنت قاسية معه، فلو كان بامكاني لما تركتك تعرفينه بالبيت لوحدك، لكن الآنسة ميكنتز لم تترك صغيرة او كبيرة الا واشتكت منها امامه، لذلك ارتحت كثيراً عندما طلب مني ان يزور البيت برفقتك. ألم يحدثك عن مشاريعه؟

كادت مورغانا تنفجر من الغضب عند سماعها ذلك لكنها قالت بلطف:

- لا يا امي لم يقل لي شيئاً.
- على كل، سيعود غداً، فقد دعوته لتناول الغداء معنا، وطلب من الزا تحضير وجبة بط شهية.
- لا تظني انك سترشينه بوجبة شهية.
- الحقيقة لم انتظر ان يكون قريباً الى القلب كما رأيته، فهو لا يشبه والده اطلاقاً، يبدو انه قريب من والدته، واتساءل ان كان متزوجاً ام لا. الم يقل لك اذا كان متزوجاً او خاطباً على الأقل؟
- لم نتبادل الأحاديث الخاصة، يا امي.

ولكي تنهي هذا الموضوع الذي تريد تجنبه بجميع الوسائل اكملت قائلة:

- اتريدين ان احضر طاولة العشاء ام ان الزا تقوم بذلك؟
- لقد كانت تحضرها عندما جئتك.

ثم تنهدت الوالدة تنهيدة تعيسة وهي تنظر الى ابنتها فسألتها مورغانا:

- ما بالك يا امي؟
- لا شيء، ولكن الا ترين ان فستانك هذا يوحي بالتعاسة، فلماذا لا تغيرينه؟ والدك رحمه الله لما كان اعجبه ان يراك هكذا. ثم

اتساءل ما كان سيقول ابن عمك لو رآك.
ـ معك حق، سأغيره فوراً، لكن رأي ابن عمي لا يهمني اطلاقاً. واذا لم يعجبه سألبسه تحدياً كل مرة يأتي فيها الى هنا.
ـ لا يا ابنتي، تجنبي المشاكل، فهذا الثوب لا يليق بك انت اولاً. على كل سأنزل لتناول العشاء، واتمنى لك سهرة ممتعة مع روبير.
بعد ان خرجت والدتها، تخلصت مورغانا من ثوبها واخذت تتفحص باقي ثيابها في الخزانة حتى استقر رأيها اخيراً على بنطلون من المخمل وكنزة رمادية.
روبير كان ينتظرها في البهو برفقة السيدة بيتريث بينما الماجور لاوسون يقرأ جريدته، وعندما رآها رفع نظره وحياها بلطف ولباقة، وقليل من الحياء «كم هو مهذب» قالت مورغانا في داخلها وهي ترد له التحية وتمنت لو ان جميع الزبائن مثله.
وبعد خروج الشابين من النزل التفت روبير الى مورغانا متسائلاً:
ـ واخيراً، هل وصل ضيفك غير المنتظر؟
ـ نعم.
اجابته بصوت لا معنى له وكأن الموضوع لا يعنيها مطلقاً.
ـ وما هو انطباعك؟ والدتك بدت عليها علامات الرضى.
ـ أمي كريمة دائماً في تقييمها للأشياء.
ـ اذن انت لا تقاسمينها الرأي.
اجابت ببرودة:
ـ لقد وجدته مريعاً.
ـ عظيم، لكن بعد وصف والدتك بدأت اتساءل اذا ما كان علي ان اشعر بالغيرة.
ـ لا سبب لذلك.

قالت ذلك وهي تفكر بردة فعلها عندما عانقها لوران، فشعرت بأن عليها تغيير الحديث فوراً:
ـ اين سنذهب الليلة؟
ـ الى مطعم البولزيون فوالداي هنا هذا الاسبوع وقد دعوانا لتناول العشاء معهما.
ـ يا الهي، لماذا لم تقل لي قبلاً، لكنت لبست تنورة على الأقل.
ـ انت جميلة في هذه الثياب لا بل رائعة ومرتاحة.
مرتاحة، كلمة لا تعنيها. فما كان يقول لو رآها بالقرب من الصخرة تدور حولها كالمجنونة تردد امنيتها، او مرتجفة وغاضبة وهي تعرف لوران بأرجاء البيت؟
لقد كانت سخيفة، لم تستطع السيطرة على نفسها. في المرة القادمة ستكون قاسية مع اعصابها ومشاعرها ولن تترك مجالاً للضعف يمتلكها او لرجل غريب متعال يسمح لنفسه بمغازلتها.
ـ ما بك يا مورغانا؟ (سألها روبير فجأة) تبدين وكأنك على وشك الانفجار، فاذا كنت تريدين تغيير ثيابك، نستطيع العودة فوراً.
ـ لا، لا ابداً، لقد عشت يوماً قاسياً واحتاج للهدوء والراحة قليلاً.
كانت عائلة دونليفين جالسة في المطعم، ولاحظت مورغانا انها ليست الوحيدة التي تلبس بنطلوناً لكن مع ذلك لا تقارن ثيابها بثياب ايلين شقيقة روبير المرتدية قميصاً من الحرير الازرق وبنطالاً انيقاً جداً.
قبلت مورغانا كأس الشراب وهي تلاحظ نظرات ايلين المسرورة بأناقتها تتفحصها بازدراء خفي. ثم اتجهت الى المقعد المجاور للمدفأة مجبرة نفسها على الاجابة على اسئلة السيدة دونليفين التي

امطرتها بها منذ وصولها. ايلين لم تتحمل ذلك فقاطعتها:
ـ حسناً، هل وصل الوريث الغامض؟
ـ نعم.
اجابت مورغانا بكل اقتضاب، لكن ايلين لم تسكت عند هذا الحد فأكملت:
ـ انها قصة غير معقولة فعلاً، تبدو وكأنها جزء من رواية رومنطيقية.
ـ استطيع ان اؤكد لك ان ابن عمي لوران ليس فيه من الرومنطيقية شيء.
شعرت مورغانا فور انتهائها من جملتها انها لم تقل شيئاً مهماً اكثر من استجلاب فضول ايلين التي اجابت فوراً:
ـ حقاً، فالصدمات على ما يبدو بدأت فوراً بينكما؟
ـ ايلين، هذا لا يخصنا.
كان صوت الوالد متدخلاً ليقطع هذا الحديث الذي بدا انه يسير نحو شجار مرتقب. لكن ايلين لم تقف عند هذا الحد فأكملت:
ـ نعم انه لا يخصنا، لكنه يبدو مشوقاً. صفيه لنا يا مورغانا، كيف هو؟ اسمر؟ اشقر؟ طويل؟ جميل؟ ام ماذا؟
نظرت اليها مورغانا متحفظة ثم قالت:
ـ انه طويل القامة، ويمكن لبعض النساء ان تجدنه جذاباً.
ـ لكن ليس أنت؟
ـ بالطبع لا.
كان جواب روبير الذي اسكت شقيقته مؤكداً ان مورغانا لا تنظر الى احد سواه.
ـ أليس كذلك يا مورغانا؟

ومن طرف عينها لاحظت مورغانا ان السيدة دونليفين نظرت اليها وادارت وجهها بسرعة. واضح ان والدة روبير تتمنى لو ان ابنها يبتعد عن مورغانا او العكس. لذلك تمنت لو تستطيع ان تواجهها بالحقيقة وتقول لها «اطمئني فأنا احمل الكثير من المودة تجاه ابنك لكني غير مغرمة به». لكنها تعرف انها لن تستطيع قول ذلك للسيدة دونليفين، فهي لم تكن يوماً ما قريبة منها ثم ان مثل هذا الكلام لا يقال في مثل هذا المكان اضافة الى انها لا تحب ان تؤذي روبير الذي يكن لها محبة كبيرة وعميقة وتعرف ان فراقها سيؤلمه كثيراً.
انتبهت مورغانا لنفسها، كيف يمكن لها ان تفكر بذلك الآن؟ وكيف جاءت فكرة الفراق الى ذهنها بهذه السرعة؟ وقبل ان تجد جواباً كانت ايلين تمد لها لائحة الطعام فتناولتها واخذت تتفحصها بشرود.
ـ ماذا تريدين ان تأكلي يا مورغانا؟
ـ آه... سأبدأ بقطعة بطيخ اصفر ثم بعض اللحم المشوي على ما اظن.
امر السيد دونليفين الخادم بتنفيذ الطلب ثم استدار نحو الفتاة متسائلاً:
ـ هل حدثك ابن عمك عن مشاريعه؟ وعلى فكرة هل سيقيم في النزل معكم؟
ـ لا ادري، على كل لا اظن ذلك.
ـ هل يعني ذلك انه يفكر بالبيع؟
ارسلت السيدة دونليفين جملتها ونظرت الى الفتاة منتظرة الجواب، اما مورغانا فقد كانت تتطلع الى هذه السيدة بنظرة فاحصة، مستغربة هذا الاستعجال من قبلهم على معرفة كل شيء.

ولم تبدأ بجوابها حين استدرك روبير الموقف قائلاً:

ـ يا والدتي، نحن متفقون على عدم التحدث في هذا الموضوع.

انتبهت مورغانا الى مغزى هذا الكلام فسألت فوراً:

ـ اي موضوع تقصد؟

هنا احس السيد دونليفين ان الحديث سيتوتر قليلاً فتدخل فوراً مع ابتسامة متصنعة وبصوت يبحث عن الوفاق قال:

ـ آه، لا شيء مهم، انها فكرة من... فكرة فقط وعادية جداً... فنحن كنا قد فكرنا انه لو كان النزل معروضاً للبيع وبسعر مناسب فنحن اولى به من غيرنا في هذه الحالة.

ـ ولجعلنا منه مكاناً رائعاً وجذاباً.

ولم تكد السيدة تنهي جملتها حتى احست بما تنطوي عليه من تعريض بالفتاة الجالسة امامها، فاحمرت خجلاً. لكن مورغانا لم تظهر شيئاً واجابت ببرودة واضحة:

ـ نعم، بالفعل.

فعائلة دونليفين صرفت اموالاً طائلة حتى الآن حتى تحول المزرعة الى مسكن فخم وجميل، ولكن ذلك لم يكفهم فالسيدة دونليفين تريد التبجح بمكان افضل من المزرعة.

سألها روبير:

ـ وماذا تقولين انت يا مورغانا عن هذه الفكرة؟

ـ انه شيء لا يعنيني ابداً، يجب سؤال المحامين والمالك الجديد.

ـ ولكن بالنسبة اليك انت، أليس هذا حلاً مثالياً؟

حلاً مثالياً! ماذا كان يريد ان يقول؟ فهذه الجملة لم تقلق مورغانا فحسب وانما كذلك السيدة دونليفين وابنتها اللتين لا تتصوران العيش تحت سقف واحد مع هذه الفتاة التي يحبها روبير. اما مورغانا

فلم تجد ما تقوله غير:

ـ لا ادري، لم افكر بالموضوع حتى الآن.

لكن فكرها كان يدور حول هذا النزل الذي كانت تملكه البارحة وكيف هو الآن مثل جثة تدور حولها الغربان. ثم ما هذه الافكار التي لا يفتأ يطلقها روبير، ومن قال انها ستقبل العيش في بيت واحد مع امه وشقيقته؟

بقيت مورغانا صامتة طيلة ذلك العشاء، وعندما اوصلها روبير الى المنزل ادعت التعب حتى لا تدعوه للدخول ثم توجهت الى غرفتها، وفي طريقها كانت تتصور ان كل عائلة بيتريث في اللوحات المعلقة تنظر اليها. وتساءلت ماذا سيحصل لها لو تركوا البيت قريباً. انها وجوه عائلتها على لوحات لا قيمة فنية لها، ومن المحتمل الا يشتريها احد وتنتهي في زاوية مظلمة في كهف البيت. ربما تجد هي ووالدتها بيتاً اخر، ولكنهما لن تستطيعا نقل كل هذه اللوحات اليه.

غداً، ستبدأ البحث عن عمل. ربما والدتها تجد عملاً ايضاً كمدبرة منزل مثلاً. اما هي فستقبل اي شيء، خادمة مثلاً، آه لو انها تجد عملاً في البيت ذاته.

عندما دخلت غرفتها وقفت للحظات جامدة تنظر الى الحيطان وتنشق رائحة عطرها الخاص الذي تعودت عليه منذ زمن. ثم عطر آخر... عطر الدخان الذي تنشقته بمرارة وحسرة وجعلها تصر اسنانها غضباً وحنقاً، ثم تقفز مرة واحدة باتجاه النافذة تفتحها على مصراعيها ليدخل منها هواء الليل البارد. جلست مورغانا وراء مكتب اليهو الكبير تحاول ان تنظم قدر ما تستطيع اوراق النزل، فكاتب العدل ارسل لها مؤخراً رسالة يطلب منها ارسال كل الفواتير غير المدفوعة، ولكن صوت سيارة توقفت امام الباب قطع عليها

تركيزها. لكنها عادت فوراً تكمل عملها ولم تتحرك حتى سمعت صوت الجرس يقرع بقوة. بل سمعت صرير باب المطبخ يفتح ووقع اقدام الزا تتجه لترى من الطارق. ثم تساءلت «ولماذا لم يدخل بدون انتظار في الخارج؟» لكن صوت ايلين جاءها مفاجئاً:

ـ دائماً منغمسة بالعمل يا عزيزتي؟

انتفضت مورغانا لسماعها صوت الفتاة التي كانت قد دخلت الغرفة تسير الهوينا بأناقتها الزائدة، حاملة بيدها باقة من الزهور.

فسألتها مورغانا متعجبة:

ـ اراك وكأنك جئت لزيارة احد المرضى مع هذه الزهور؟

ـ والدتي هي التي طلبت مني احضارها لوالدتك، فهذه الزهور في اخر موسمها هذه الأيام.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي مورغانا تؤكد شكها بأسباب هذه الزيارة. لكنها استدركت بنعومة ساخرة:

ـ انه لطف زائد. اتريدين فنجان قهوة؟

ـ بكل ترحيب، هذا اذا كنت غير مشغولة الآن.

ـ ابداً.

ودعتها للجلوس على المقعد الوثير المقابل بكل لطف وتهذيب.

وفي المطبخ كانت الزا منقبضة الملامح ووجهها يذكر بالأيام التعيسة والسيئة التي عاشتها، ولم تكد مورغانا تدخل حتى فاجأتها بالسؤال:

ـ هل لي ان اعرف شرف زيارتها الآن؟

ـ لقد احضرت زهوراً لوالدتي. تستطيعين وضعها في اناء مليء بالماء، ثم ارتبها فيها بعد.

ـ هي وزهورها اللعينة، اتعتقد نفسها ملكة الحظ؟ انها مخطئة فأنا

لا ارى غير الظلام يحيطها من كل جانب.

عندما عادت مورغانا الى البهو، وجدت ايلين بالقرب من المدفأة تتفحص اناء البورسيلين فخطر ببالها ان تقول لها «أتبدأين من الآن تسعير اغراض المنزل؟» لكنها عدلت بدافع صداقتها مع روبير. وما ان رأتها تدخل الغرفة حتى عادت الى مقعدها تقول:

ـ ارجو الا ازعجك حقاً، فأنا اعرف انك تمرين بلحظات عصبية.

ـ انه لطف منك ان تكرسي لنا بعض وقتك.

اجابتها باللطف الذي ما تزال تحاول اقناع نفسها به. ثم بعد صمت قليل سألت ايلين:

ـ ماذا ستفعل الزا عندما ترحلان عن البيت؟

ـ انها طباخة ماهرة، ولن تجد صعوبة في الحصول على عمل.

ـ وبرأيك هل سترفض البقاء هنا بدونكما؟

ـ لماذا لا تسأليها هي مباشرة؟

ـ يا الهي، لا اجرؤ على ذلك، انها تخيفني.

قالت ذلك وهي تبتسم ثم اكملت:

ـ بالمقابل اعتقد ان الوقت مبكر لمثل هذه الاسئلة، لأننا نجهل حتى الآن مشاريع ابن عمك. وبالمناسبة هل تذوق اكلها؟

ـ لا، لكنه سيأتي للغداء اليوم.

لم تتمالك مورغانا من كبت ابتسامتها فايلين استطاعت بمهارة معرفة بعض ما تريد على الأقل. فتح الباب فجأة ودخلت السيدة بيتريث:

ـ الآنسة دونليفين!

قالتها بتعجب زائد.

- ايلين احضرت لنا زهوراً من المزرعة.

- كم هو عجيب ما فعلت، فزهور المزرعة رائعة الجمال... آه سأتناول معكما فنجان قهوة.

سكبت لها مورغانا فنجاناً وقدمته لأمها التي ما تزال الدهشة مرتسمة على وجهها.

- هل لديك اخبار يا عزيزتي؟

- لا، ليس بعد، فالوقت ما زال مبكراً وربما كان مشغولاً بشيء اخر.

تدخلت ايلين في الحديث:

- هل تعرفان مهنته؟

- لا لم يحدثنا عن ذلك، على كل نحن لا نعرف شيئاً عنه.

فأجابتها:

- كم مزعج ذلك! ان تكتشفي احد افراد العائلة بعد ان كان مجهولاً وفي مثل هذه الظروف. بالطبع ليس بسيطاً كل هذا، فلو ان هذه الحادثة وقعت في القرن الماضي لكان تصرف على ما اظن كرجل شريف وطلب يدك للزواج، هذا اذا لم يكن متزوجاً.

- اننا نجهل ذلك.

اجابتها السيدة الوالدة بينما وقفت مورغانا ممتعضة عن مقعدها وقالت:

- سأذهب لأرتب الزهور وأرى اين اصبحت الزا في تحضير الغداء.

- انها فكرة جيدة يا ابنتي، وما رأيك يا ايلين لو بقيت معنا على الغداء؟

قالت السيدة بيتريث ذلك ببرودة واضحة وكأنها متأكدة من ان

الفتاة لن تقبل دعوتها. لكنها فوجئت بالرد يأتي حماسياً:

- بكل طيبة خاطر يا سيدتي.

ابتسمت مورغانا لهذه البادرة وقالت في نفسها يجب ان اهنىء والدتي على هذه اللفتة الذكية. ثم اتجهت وابتسامتها على فمها الى المطبخ. لكن ملامحها تغيرت فجأة عندما رأت لوران بيتريث جالساً على طاولة المطبخ مع الزا تقرأ له حظه في ورق اللعب.

- أنت؟ كيف ذلك؟

- باب الخدمة كان مفتوحاً فدخلت. هل ترين في ذلك غضاضة؟

- لا. لا ابداً تستطيع الذهاب والمجيء كما تريد، لكنني فوجئت. هذا كل شيء.

- بالطبع، فكل مرة نلتقي فيها تفاجأين بي. سأحاول ان الطف ذلك في المرات القادمة.

- لن يكون لي شرف اللقاء بك في المرات القادمة.

ثم توجهت بالكلام الى الزا:

- لا تملأي رأسه بهذه السخافات المضجرة.

- سخافات! ألست انت التي تطلبين دائماً معرفة مستقبلك؟

رفعت مورغانا كتفيها ونظرت الى لوران قائلة:

- الأفضل ان تترك الزا تحضر الأكل، الا تريد رؤية والدتي والحديث معها عن مشاريعك؟

- بالفعل فقد جئت للحديث معها... ومعك ايضاً.

- لا علاقة لي بهذا الموضوع وارجوك ان تستعجل الحديث مع والدتي لأنها قلقة.

- فعلاً؟ اعتقد انك انت مصدر قلقها الوحيد.

- ماذا تقصد بهذا الكلام؟

- تكهني.
ثم التفت الى الزا واقفاً وقال:
- ساعود واطلب منك قراءة مستقبلي فيما بعد.
- بكل سرور.
وانهمكت الطباخة في لملمة اوراق اللعب بينما لاحظت مورغانا ان ملكة القلب تأخذ مكاناً مهماً في توزيع الورق على الطاولة. وبكل سذاجة كانت تأمل ان تكون ايلين قد انهت زيارتها لكنها كانت في الممر تودع السيدة بينتريث وشعاع من نور الشمس يلتمع على شعرها الكستنائي. وبغريزتها الأنثوية احست مورغانا وكأن بارقة اعجاب تملكت لوران، بينما التفتت السيدة الوالدة مدهوشة باتجاه ابنتها:
- الزا كانت تقرأ له الحظ في الورق.
- كم هذا جميل، اوه آنسة دونليفين أقدم لك ابن عمنا السيد لوران بينتريث.
تقدمت ايلين مبتسمة باتجاه الشاب الوسيم.
- اوه... لكننا التقينا قبل الآن على ما اظن، ألم تكن في حفل استقبال لندسي فان كوسين في موناكو في سهرة رأس السنة؟
- فعلاً، انا لا اغفر لنفسي انني نسيتك.
كانت يده قد امتدت لتسلم على الفتاة تاركاً يدها في قبضته بينما استدركت ايلين ضاحكة:
- لكنك كنت مشغولاً جداً مع لندسي وكيف لا؟ وهي رائعة الجمال ووافرة الغنى، انكما ثنائي رائع.
- حتى الآن ما ازال وحيداً. ولندسي هي شقيقتي من أمي.
- اذن انت...
- نعم انا لوران فان كوسين هل تعرفين اسمي الآن؟

- كيف لا؟ فوالدي لا يفتأ يحدثني عن اعماله العديدة مع شركائكم. يا الهي كم سيفاجأ حين اخبره بذلك.
تدخلت مورغانا فجأة فهذا الحديث لم تفهم منه شيئاً. ومن هو هذا الرجل؟
- اذن انت لست ابن عمي لوران بينتريث، فمن تكون؟
- انا لوران بينتريث فان كوسين، فعندما تزوجت والدتي من جديد طلب مني عمي منذ عدة سنوات ان اقبل بأخذ اسم عائلته. وبما انني اكنّ له احتراماً كبيراً ومحبة عظيمة قبلت ذلك. هل يكفيك هذا الشرح؟
- طبعاً لا! هل لك ان تثبت هويتك؟
- لقد ابرزت كل اوراقي لكاتب العدل واذا كنت تعتقدين انني انتحل شخصية وهمية لأرث هذا النزل الذي لن تأتيني منه الا المتاعب فأنت مجنونة.
تدخلت ايلين قائلة:
- كوني لطيفة معه يا مورغانا، فشيء جميل ان يكون في العائلة مليونير.
- مليونير، أأنت مليونير؟
- نعم.
- وتريد مع ذلك حرمان والدتي من مصدر عيشها الوحيد؟ الناس أمثالك يشعرونني بالغثيان.
- عظيم جداً، لكن ذكريني يوماً ان اقول لك ماذا افكر بالناس امثالك.
ثم التفت الى ايلين مكملاً:
- لا تؤاخذينا على هذه المشاكل العائلية الصغيرة.

ـ لا، لا ابداً، وعلى كل يجب الا تؤاخذ مورغانا على كلامها فهي مضطربة مع كل هذه المشاكل التي تحصل. ثم هل ستبقى قليلاً هنا، فأهلي سيسرون جداً بدعوتك الى العشاء.

وقبل ان يجيب لوران على هذه الدعوة نظر الى مورغانا بتمعن ثم قال:

ـ نعم سأبقى.

كان قلبها يخفق بشدة وينقبض لهذه التطورات المزعجة فقفلت عائدة الى القاعة الكبيرة. فالذي يحصل ليس تحدياً عادياً وبسيطاً، انها الحرب.

٤ - أريدك لي...

تجاوزت مورغانا رواق البهو ووقفت امام النافذة، هل هذا معقول؟ كانت تقول لنفسها. فمنذ اقل من اربع وعشرين ساعة كانت تقف في المكان نفسه قلقة، ومنتظرة وصوله... الحديقة كانت امام عينيها كمدى لا يحد اتساعه، بينها امام النافذة مجموعة اوراق بدأ اليباس يدب فيها لكنها ما تزال معلقة على اغصانها ترفض السقوط... كم معها حق! قالت متمتمة... بينها في الممر كانت ضحكة ايلين مسموعة تثير في نفسها الغضب... «لا، لا، كيف علي ان اتمالك اعصابي»... لكن هذا الرجل يتصرف وكأنه عالم بما يثير الغضب... وفجأة سمعت الباب يفتح ويغلق بسرعة، فاعتقدت انها والدتها. ارادت الكلام وهي تلتفت لكنها فوجئت

بلوران.

ـ أين والدتي؟

ـ في صالة الطعام، قلت لها انني اريد التحدث معك.

ـ لكي تسمع اعتذاري.

ـ لا اعتقد بالمعجزات، فأنت معبأة حقداً وغضباً، أليس كذلك؟ وتطلبين انصياعاً كاملاً واعمى لكل اوامرك. كل هذا لا يجعلك سعيدة يا مورغانا. ثم لو كنت وحدك تتألمين لما قلقت لذلك، لكن هناك والدتك. الا تفكرين بها؟ انها تقلق وتعيش في وهم انتظار ما ستفعلينه او تقولينه.

ـ لكنني لا احمل هماً غير همها فأنا لا افتأ افكر بها وبمصيرها، وكيف اساعدها.

ـ في هذه الحال اراك تسلكين اسوأ الطرق لمساعدتها، ثم ايتها العفريتة الصغيرة انا لم اضع ذلك البند في الوصية، فبالنسبة الي هو خطأ فادح وهدر لوقتي ومالي.

ـ آه، كنت اعرف انك ستلمح الى مالك، انا آسفة ربما كان علينا ان نستقبلك بطريقة اخرى ونعاملك كالملوك. لكن عليك ان تعلم شيئاً! هو انه في منطقتنا لا نقيم الانسان بما يملك بل بما هو عليه.

ـ لقد لاحظت ذلك، على كل هل لك ان تعرفي ماذا يقولون عن المرحوم والدك؟

نظرت اليه مورغانا مطولاً ثم بصوت مخنوق صرخت في وجهه:

ـ انك حقير.

وأجهشت بالبكاء.

ـ لقد قلت لي ذلك سابقاً.

استدار لوران بينما كانت مورغانا تبحث عبثاً عن محرمة لدموعها،

وعندما هدأت قليلاً ناداها طالباً منها الجلوس للحديث فأجابته:

ـ لقد تحدثنا بكل شيء على ما اظن.

ـ بالعكس لم نبدأ بعد، فهل تريدين المجيء الى جانبي ام احضرك بالقوة؟

تقدمت بصعوبة الى جانبه ثم جلست على مقربة منه فنظر اليها نظرة استحسان ثم بدأ حديثه:

ـ عظيم، لكي نبدأ، فقد قررت ان اقبل دعوة والدتك، خاصة انه ليس لدي الوقت الكثير، فمن الأفضل اذن ان اكون متواجداً هنا. حتى اضع كل مشاريعي قيد التنفيذ.

شعرت مورغانا وكأن لحظة الحقيقة قد اتت فعلقت فوراً:

ـ ومتى يجب علينا ان نرحل؟

ـ ومن طلب منكما الرحيل؟

ـ لا ادري، لكنني اعتقد ان هذا هو المنطق.

ـ ستفاجأين بما عليك ان تقومي به، فلتتصرف كأناس واعين وليس كأعداء.

في هذه اللحظة دخلت الوالدة الى القاعة معتذرة وشارحة ان الآنسة ميكنز تشكو من تعطل زر الكهرباء في غرفتها.

ـ ليست المرة الأولى التي يحصل فيها ذلك، وقد حاول كهربائي البلدة عدة مرات تصليحه لكنه لم يفلح.

علق لوران مقاطعاً:

ـ تحتاجون لعبقري في الكهرباء لكي يصلح التمديدات الكهربائية في هذا المنزل، او ربما تغييرها برمتها.

تنهدت الوالدة قائلة:

ـ معرفة الشيء ليست مثل تنفيذه. وللأسف كل هذه المشاكل

تأتي سوية فالحكومة هذه الأيام تريد زيادة شروط السلامة والأمانة من الحريق في الفنادق.

غرق لوران قليلاً في تفكيره قبل ان يقول بكل لطف وهدوء:

ـ سيدة بينتريث هل تحبين هذه المهنة؟

ابتسمت الوالدة واجابت:

ـ في الحقيقة... نعم، لا بل كثيراً، فأنا لا احب المسائل المالية وغيرها لكنني احب الناس والاهتمام بهم، حتى الناس ذوي المراس الصعب كالآنسة ميكنز مثلاً... على كل انها وحيدة واشعر انها تعيسة جداً.

ـ في هذه الحال ارجو ان تسمعي جيداً ما اعرضه عليك... هذا البيت اكبر من ان يكون بيتاً عائلياً، ومن جهة ثانية لم يتح له كمؤسسة ان يصبح مشروعاً تجارياً لذلك فأنا افكر بتغيير كل هذا.

رفعت مورغانا حاجبيها متعجبة:

ـ تقصد القول انك ستبقي على الفندق؟

ـ ليس هذا بالضبط. مجموعة شركاتي تملك كذلك سلسلة من الفنادق السياحية ولا اريد ربط هذا الفندق بها، فهذه المنطقة من انكلترا لن تصبح يوماً ما منطقة سياحية لكن مشروعي هو التالي: سأجدد البيت بكامله من التمديدات الكهربائية الى التدفئة المركزية الى الهندسة والتزيين الداخليين دون ان امس بشكله وخصوصياته. وهكذا يستطيع هذا المكان ان يعمل كفندق عادي طيلة ايام السنة ويمكن بعدها ان يستجلب الزبائن عندما تحصل هذه التغييرات. ولكن لدي شرطاً اساسياً، وهو ان يحظى مستخدمو شركاتي بالأولوية في الحجوزات وفي الحقيقة اعتقد انهم سيكونون في بعض فترات السنة الزبائن الوحيدين في الفندق.

لم تتمالك السيدة بينتريث من كبت دهشتها والقول:

ـ لم افهم جيداً ما تقصده؟ هل تريد ان يصبح الفندق نزلاً خاصاً لمستخدميك؟

ـ الى حد ما نعم. واتصور انني سأقوم بعقد ندوات ومحاضرات هنا لأن المكان مناسب للتفكير والتأمل بدون شكليات الحياة المدنية. فهذا المكان يبدو لي مثالياً، بعيداً عن حياة المدنية السريعة والصراع اليومي للعيش، والمستخدمون سيجدون فيه الراحة والهدوء.

ـ نوع من الجنة الهادئة للموظفين المتعبين؟

علقت مورغانا بسخرية، بينما لم يحمل لوران عناء النظر اليها. واكمل موجهاً كلامه للوالدة:

ـ اذن ما رأيك بفكرتي هذه؟ هل تروق لك؟

ـ تماماً. نعم، لكن يمكن ان تخلق مشاكل بين زبائن الفندق العاديين وزبائن مؤسستك. ربما الافضل حجز غرف دائمة لموظفيك... لكن هذا لا يعنيني على كل حال.

ـ بالعكس فمثل هذا المكان يحتاج شخصاً خبيراً لادارته، امرأة مثلك تستطيع ارضاء الجميع لذلك اعرض عليك هذه الوظيفة واتمنى من كل قلبي ان تقبليها.

تدخلت مورغانا غاضبة:

ـ لن تقبل ابداً، انها اهانة، كيف تجرؤ على عرض وظيفة على والدتي في بيتها هي؟

ـ ليس في نيتي ابداً توجيه اهانة لأحد. صدقيني يا سيدتي فأنا اعتقد ان هذا هو الحل المثالي لكل مشاكلك. هل اخطأت في هذا العرض؟

كان لوران يسأل السيدة بينتريث دون ان ينظر او يلتفت الى

مورغانا. وكأن كل ما يقوله لا يعنيها بل يعني السيدة الوالدة التي اجابت:

- ابداً، لكنك فاجأتني بهذا العرض، هذا كل شيء. فهل تسمح لي بالتفكير ملياً؟

- خذي كل الوقت الذي تريدين.

- ليست بحاجة للوقت، كما ليست بحاجة لاحسانك.

علقت مورغانا على كل ما يجري بين ابن عمها ووالدتها بغضب واضح، بينما تمالك الشاب اعصابه مجاوباً:

- ليس في نيتي الاحسان اضافة الى انها ستتقاضى راتباً عن عملها، ويصبح لها الحق بالتقاعد حين تريد مع مكاسب مادية اخرى.

- مكاسب، اية مكاسب حين تصبح خادمة في بيتها؟

- وماذا كانت تفعل منذ ان اصبح هذا البيت فندقاً؟

ثم التفت الى الوالدة قائلاً:

- كما قلت لك لديك الوقت كله للتفكير، ولا تتأخري في سؤالي عن اي شيء يطرأ على بالك. فأنا مستعد دائماً للاجابة.

كانت مورغانا تنظر الى والدتها بدهشة متألمة ثم تقول:

- امي لا اظن انك ستقبلين هذا العمل؟ أليس كذلك؟

- افكر جدياً بذلك يا عزيزتي، فمن العبث ان ارفض، فأين اجد عرضاً مهماً مثله في الوقت الحاضر. . . على كل اعتذر لأنني سأذهب لمساعدة الزا في المطبخ.

ساد صمت طويل بعد خروج الوالدة ثم استعاد لوران الكلام بكل هدوء قائلاً:

- يبدو انك متأكدة ان قرارها سيكون لمصلحتك.

- لا، ولكن لمصلحتها هي.

- ارجوك تناسي كل ما تكنينه من تقييم مسبق تجاهي ولو للحظة واحدة، وقولي لي ماذا لديك من عروض افضل تقدمينها اليها؟ ثم اذا رحلتما غداً فأين تذهبان؟

- بدأت البحث عن عمل.

جاوبته بنظرة متعالية واكملت:

- هناك دائماً طلبات للعمل في الجرائد. يكفي الانتظار قليلاً حتى اجد عرضاً مناسباً.

- بالفعل، ولكن لا احد يعرف كم من الوقت ستنتظرين حتى تجدي ما يناسبك. ثم ان امك ستقتلع من مكانها المفضل ومن محيطها وستجبر على السكن مع غرباء. فهل هذا ما تأملينه لها؟

- لا. ولكن لا اتمنى ان تصبح مدينة لك بشيء.

- لماذا، لانك لا تستلطفينني؟ ام لأنك لا تثقين بي؟

- للسببين معاً.

انفجر لوران ضاحكاً عند سماعه هذا الجواب ثم علّق:

- بالنسبة لاستلطافك لي فأنا لا استعجله ولا اطلبه، ايتها العفريتة الصغيرة، انه شعور فاتر لا معنى له احياناً اما الثقة فستعلمينها لاحقاً.

صمتت مورغانا للحظة ثم قالت:

- لماذا لم تقل الحقيقة سابقاً؟ لماذا لم تصرح منذ البارحة عمن تكون؟

- ما الفرق في ذلك؟ فقير او غني، سأبقى الوارث الشرعي لأملاك والدك وكما برهنت لي بوضوح الآن، فالغنى لا يسهل الاشياء. ثم كان من الممكن التعرف علي.

- وكيف ذلك؟
- من خلال الصحف والمجلات فهي تنشر احياناً صورتي.
اجابته بسخرية:
- لا اشك بذلك ولكن ربما في الصفحات المالية فقط.
- للأسف لست مسؤولاً عن قرارات رؤساء التحرير لذلك فضلت المجيء خلسة الى هنا. فلو عرفت المجلات والصحف بهذه القصة لكان محرروها نصبوا خيامهم على شبابيك البيت.
- ضريبة المجد!
اكملت بلهجتها الساخرة، اما هو فقال:
- كل شيء له ثمن! واتساءل ما هو ثمنك؟
انتفضت مورغانا وكأن كهرباء لسعتها عند سماعها هذه الجملة.
وردت بلهجة عنيفة:
- لست للبيع، واذا كنت تعتقد انك ستشتري والدتي فلن تنجح معي. ثم لا تهمني كل المشاريع التي عرضتها. على كل حال لن اكون هنا لاشاهد تنفيذها.
- يا للأسف! الا تريدين رؤية الفندق وقد عاد اليه رونقه وجماله؟
- ستجعل منه قصراً من زجاج وبلاستيك بدون روح او حياة. انت لا تملك احساساً صادقاً تجاه هذا البيت، وهذا طبيعي بالنسبة اليك، فأنت لم تولد وتربى هنا ولم تحبه طيلة حياتك.
- مهما يكن سأجعل منه شيئاً مهماً.
- تستطيع بيعه في جميع الأحوال.
- حقاً، وهل تشترينه انت؟
- ليس لدينا المال الكافي لذلك، وانت تعلم جيداً وضعنا. لكن هناك من يهمه الأمر، عائلة دونليفين مثلاً فهي التي اشترت منا

المزرعة في الماضي.
- عائلة الجميلة ايلين.
جاوبها بسخرية واضحة واكمل:
- لكن هذا البيت يجب ان يبقى ملكاً للعائلة، اليس كذلك؟
- وماذا تعرف عن العائلة؟ انت لا تستعمل حتى اسمها!
- انه مكتوب على شهادة ميلادي... ثم انت لا تحتكرين الضغينة والاحكام المسبقة يا آنسة بينتريث دو بولزيون. فأنا لم انشأ على الحب الكبير لهذا البيت او لسكانه.
- حسناً، انك تأخذ الآن بثأر جدك!
- لكان طار من الفرح لو حضر هذه المناسبة! وعلى فكرة لماذا لا نتناول الطعام في مكان آخر فأنا اريد التحدث عن المشاريع المقبلة مع والدتك وحضور الزبائن على الطاولة هنا يزعجني.
- حسناً، نحن نتناول الطعام احياناً في المطبخ... لكن هناك الزا، انها على كل حال جزء من العائلة وتهتم بكل مشاكلنا. لكن ذلك يبقى مزعجاً بالنسبة اليك!
- لا ابداً، في جميع الأحوال فان قراراتي تعنيها هي ايضاً.
- ليس بالضرورة، فهي تستطيع ايجاد عمل بسهولة.
- ليس لها ان تفتش عن عمل، بل تحتاج الى مساعدة هنا.
- تفعل حسناً لو تستشيرها قبلاً، فطبيعتها مختلفة كما تعرف.
- وهل غير مجيئي طبيعتها ام لا استطيع الجلوس على طاولتها بعد؟
رفعت مورغانا كتفيها بهزة صغيرة واردفت:
- اذا كانت قد قبلت حتى الآن ان ترى المستقبل فهذه بادرة حسنة، فهي تحب رؤية الكوارث احياناً.

- بالعكس لقد رأت لي مستقبلاً غنياً وحباً عنيفاً.
- هذا ليس بالغريب او المستهجن. فأنت لا توحي بالفقر ولا بالتعاسة مع النساء.
كانت مورغانا تقول جملتها وتتذكر ملكة القلب في الورق على طاولة المطبخ، عندما فاجأتها والزا تقرأ له المستقبل.
- اذن اشكرك على كل هذا المديح، هل ستذهب لرؤية والدتك الآن ام لا؟
- لحظة بسيطة يا سيد لوران بيتريث فان كوسين، فلدي بعض الاسئلة اطرحها عليك.
- كلّي آذان صاغية.
- ألم تخبىء عنّا بعض التفاصيل التي تخصك، كزوجة ودزينة اطفال مثلاً؟
- على حد علمي، انا لست متزوجاً. هل اكتفيت؟
- لا يهمني ذلك حتى ولو كان لديك مئات النساء! كل ما اريده هو الحصول على اجوبة صادقة، لانني لا اثق بك. فأنت رجل اعمال ولست رجل احسان وعرضك الذي قدمته لوالدتي جميل جداً، لذلك لا بد انك تخفي شيئاً وراءه.
- انت دقيقة وذكية جداً.
- انت تعترف اذن؟
- لقد طلبت مني ان اكون صريحاً، أليس كذلك؟ فعرضي هو عقد متكامل، اريد ان تبقى والدتك في ادارة هذا الفندق والزا في ادارة مطبخها وانت اريدك لي.
انتفضت مورغانا ملتفتة بتمعن الى ملامحه الهادئة، ثم قالت بغضب:

- ابداً، فأنا لست للبيع.
- لن اشتري شيئاً، ستعطيني فقط ما اريده منك.
- انت مجنون، لن اسمع منك شيئاً بعد هذا الكلام.
ثم اتجهت الى الباب لكن لوران بحركة سريعة قطع عليها طريق الخروج ماداً يده القوية امام وجهها، فارتعشت لاقترابه منها لكنها صرخت:
- اتركني.
- عندما اقرر ذلك. انا الذي آمر هنا.
- لن تأمرني ابداً، والآن ابتعد عن طريقي.
- ستغيرين رأيك، سترين.
- ابداً، اما الآن فدعني امر.
- لست مقتنعة تماماً، وللأسف لا رغبة لي الآن بتركك. ثم لو انك صادقة مع نفسك لاعترفت بأنك لا تريدين ان اتركك.
لم تعجبها هذه الكلمات فتمتمت في وجهه بوحشية ظاهرة:
- اتركني قلت لك.
اقترب منها، حرارته ورائحة الرجولة فيه جميعها كانت تلهب مشاعر مورغانا وتشعر بأن دمها يتدفق بسرعة غريبة في شرايينها، وانفاسها تتتابع لاهثة... معه حق فهي تريد الاقتراب منه اكثر، ان تأخذه بين ذراعيها. هذه الافكار التي تتابعت في رأسها جعلتها خائفة مرعوبة فانتفضت متراجعة الى الوراء.
- يبدو ان علاقاتك السابقة غيرت الكثير من القيم عندك. والآن دعني امر لأن لدي الكثير من الأعمال بانتظاري.
لم يحاول هذه المرة ايقافها او منعها من الخروج فركضت مسرعة باتجاه غرفتها ولأول مرة في حياتها اقفلت الباب بالمفتاح. كانت

ركبتاها ترتجفان وقلبها يخفق بشدة فاستندت الى الحائط لتحفظ توازنها، فهذه هي المرة الأولى التي تشعر فيها بعنف الرغبة بهذا الدفق الطاغي من الأحاسيس. وهذه الحقيقة كانت تخيفها حتى الاعماق. وبهدوء وروية رفعت عينيها باتجاه المرآة وكأنها تنظر الى وجه آخر غير وجهها، فهي لم تعد كما كانت قبل ساعات امام هذه المرآة نفسها تسرح شعرها وتزين نفسها. . . ماذا ستفعل؟ الهرب. . . انه الحل الوحيد، فهي لن تترك لمشاعرها ان تسيطر عليها. انها فكرة لوران، لكن قلبها يقول العكس ولا تستطيع نكران ذلك.

رفعت كمّ الكنزة التي تلبسها ورأت علامات اصابع الشاب مطبوعة على زندها، وكأنها علامات ابدية.

«لم يمتلكني ولن يستطيع ابداً» قالت لنفسها وهي تسكر من الغضب. يجب الابتعاد عنه والا خانت نفسها وفقدت كل احترام كان لها حتى الآن. فهذا الرجل يستفيد من كل الظروف، موت الوالد وفقدان النزل وهذا العرض المغري لوالدتها جعله في موقع قوة وجعلها في موقع ضعف بلا دفاع. انه حقير، نذل. . . بعد الظهر ستنزل الى القرية وتشتري كل الجرائد مفتشة فيها عن عروض عمل. ليس لديها الوقت لتضيعه، يجب ان تقاوم وبسرعة. لكن طرقات على الباب أرجعتها الى واقعها.

- من، من هناك؟

- انا يا عزيزتي.

كان صوت الوالدة القلق جاء يهدىء قليلاً من روعها.

- لحظة.

- قامت مورغانا تفتح الباب الذي اغلقته عند دخولها لتدخل والدتها مندهشة:

- لقد اغلقت الباب بالمفتاح؟ لماذا؟ ما بك؟

- لا شيء، شعرت بألم في رأسي واردت الراحة.

- هل كان لوران هو السبب؟ لماذا تأخذين مزاحه على محمل الجد؟

- لا احبه، نعم لا احبه ولا اطيقه، هذا كل شيء. لكني اعدك بأنني سأتحمله من الآن حتى رحيلي من هذا البيت.

- رحيلك؟ ماذا تريدين ان تقولي؟

- مستقبلك اصبح الآن مؤمناً، اما انا فعلي ان افكر ماذا سأفعل يا امي.

- لكن لديك عملاً هنا، ألم يقل لك لوران ذلك؟

- آه بالطبع، وذلك لن يغير شيئاً، فأنا لا اريد البقاء هنا، وهو يعرف ذلك تماماً.

- انه لا يعرف شيئاً فهو يعتقد انك ستبقين هنا وتعملين معي، وهذا ما يسميه على ما اظن «العقد المتكامل».

- اعرف ، لكنني سأرحل.

نظرت مورغانا الى والدتها المدهوشة ثم زفرت وقالت:

- ماذا هنالك ايضاً يا والدتي؟

- حسناً اظن انك لم تفهمي الاشياء جيداً، اعني ان لوران يريد ان يبقي كل شيء على ما هو عليه كما في السابق، فهو يحب البيت واجواءه. هل ترين ما اعني؟

- انت التي تعرفين كيف تعيدين هذه الأجواء وليس أنا.

- لكنك لم تفهمي بعد، انه يريد الجميع كل في مكانه المعتاد. انا والزا وانت والا فلن يقبل بتوظيفنا، اي ثلاثتنا او لا احد.

- يا الهي . . .

- لا تخافي يا ابنتي فهو عقد لسنة واحدة فقط. السيد تريفيك يحضر العقد ولوران يحاول ان يكون لطيفاً. ثم بالنسبة اليك فهذه السنة مهمة، حتى يتسنى لك التفكير بمستقبلك.

- هه. . . هذا كرم منه، وتعتقدين انها مشاعر صافية وبريئة.

- عزيزتي اسمحي لي ان اقول لك انك قاسية جداً معه.

ماذا تستطيع القول؟ هل تصارح والدتها بأنه يريد اغواءها؟ فكرت قليلاً ثم قطعت الوالدة تفكيرها قائلة:

- الا تريدين ان تجربي؟ من اجلي يا ابنتي، حاولي.

سكتت مورغانا والمشاعر تمزقها وهي تنظر الى وجه امها القلق التعب، ثم تنهدت:

- حسناً، سأحاول، اعدك بذلك.

- ليباركك الله يا ابنتي، لن تندمي على ذلك، انا واثقة. اما الآن فهيا معي لأن لوران يريد ان يتحدث الينا.

وبدون كلمة واحدة تبعت مورغانا والدتها الى حيث كان ينتظرهما لوران في القاعة الكبيرة. فأفسح المجال لمرور السيدة الوالدة ثم اخذ الفتاة من ذراعها موشوشاً في اذنها:

- لقد ربحت الجولة على ما اظن.

- ولكن لم تربح اللعبة كلها، فأنا ما ازال أقاوم.

- انا لا اطلب اكثر من ذلك، فالانتصار النهائي سيكون لذيذاً.

- لأحدنا.

وبحركة سريعة امسك لوران بشعرها يجبرها على التطلع اليه.

ارادت الصراخ من الألم لكنها تمالكت اعصابها واظهرت حقدها عليه بينما هو يصر على أسنانه قائلاً:

- لنا نحن الاثنين، ايتها الجنية مورغانا.

٥ - شروط المواجهة

كان غداء ممتعاً فالبط المطبوخ كان مطهياً كما يجب وكعكة التفاح مع صلصتها السكرية كانت لذيذة، لكن مورغانا كانت تبلع لقمتها غصباً عنها دون ان تتذوق او تشعر بلذة ما تأكله، بينما عيناها تتركزان بين فترة واخرى على لوران الجالس امامها. فهو لم يتوقف عن استخدام كل وسائله لاغراء السيدة بينتريث واقناعها بطرقه غير المباشرة بأن نواياه سليمة. فحديثه المفصل عن مشاريع البيت لا تخلو من الأهمية ومن حسن الاطلاع، لكن مورغانا بالرغم من ذلك لا تستطيع اخفاء حقدها عليه.

- الكثير من الغرف تحتوي على خزانات كبيرة جداً. هذه مساحات غير مستعملة نستطيع تحويلها الى حمامات داخلية.

قاطعته مورغانا ساخرة:

- أليس الأفضل هدم البيت وبناؤه من جديد؟

لكنه لم يحمل عناء الرد عليها واكمل:

- سأستقدم بول كروسبي، انه احد خبرائنا المعماريين وهو جدير بمهنته. بالطبع سأطلب منه احترام مواصفات هذا البيت.

- سنكون شاكرين لهذا الجميل...

علقت مورغانا بسخرية لئيمة فتداركت الزا الموقف قائلة:

- هل تريد بعض الحلوى، سيد بينتريث؟

- لا شكراً يا الزا فلدي عمل كثير بعد الظهر وعلي ان انهي زيارة البيت.

فتدخلت الوالدة:

- مورغانا ستسر على ما اظن بتعريفك بما تبقى من اقسام البيت.

- وهل هي ضرورية هذه المهزلة؟ فأنت تعرف ان البيت ملكك، ما عليك الا ان تزوره لوحدك.

علقت مورغانا بقساوة لكن لوران كان يبدو عليه الاصرار:

- انت تعرفين تاريخه على الأقل، اما انا فلا.

- عندي اشغال اخرى.

- في هذه الحال ما عليك الا ان تلغي كل اشغالك. فكري قليلاً، كلما عجلت بزيارة البيت عجلت كذلك في الرحيل. علي ان اكون في السويد الاسبوع القادم.

- وماذا يهمني من كل هذا؟

ثم وقفت لتخرج من المطبخ، لكن لوران استدركها في الممر:

- فخورة بما تفعلين؟ اليس كذلك؟ لكنك لا تدرين ان كلماتك لا تؤذيني انا بل تؤذي والدتك. فكيف تقولين بعد ذلك انك

تريدين اسعادها؟

- كل ما تريده هو ان ابقى هنا. حسناً، ولكن ليس لدي طريقة اخرى اقنعك بها انني لا اطيقك.

- اقنعي نفسك اولاً.

- انت مغرور بلا حدود.

- وانت كاذبة بلا حدود، على كل لنضع هذه الخلافات الصغيرة جانباً الآن. فأنا اريد فعلاً زيارة أقسام البيت الأخرى.

نظرت اليه نظرة استخفاف ثم سبقته في صعود السلالم وهي تقول:

- ماذا تريد ان تفعل بهذا البيت؟ صالون تجميل! ام ماذا؟

- انني اقدر كثيراً افكارك النيرة، لكن في الوقت الحاضر لا افكر الا بكيفية تحويل شقة كبيرة لك ولوالدتك في هذا البيت.

- تخاف اذن ان نزعج زبائنك؟

- بالعكس، اريد فقط الا يتدخل احد في شؤونكما، ام انك تفضلين هذه الحالة؟

كانت تريد اجابته بـ«نعم» فقط لمعارضته لكنها لم تستطع، فالفكرة جيدة، لا بل هذا ما تحلم به.

- انه شيء حسن ان نكون في شقة منفصلة عن الزبائن. والدي كان يحب استقبالهم في جو عائلي، لكن ذلك غير مستحب دائماً.

- حسناً، ها نحن متفقون على نقطة واحدة على الأقل. لكن ماذا عن الغرف الفوقية؟ ماذا تستفيدون منها؟

- لا شيء، اننا لا ندخل اليها مطلقاً فهي تستخدم كغرف محفوظات منذ زمن طويل.

وصعدا معاً على السلالم المتعرجة الضيقة التي تقود الى تلك

الغرف، بينما كان لوران يخفض رأسه حتى لا يصطدم بالعوارض الخشبية القديمة.

- هذه العوارض ملأى بالحشرات على ما اظن؟

فأجابته مورغانا:

- بكل تأكيد، انتبه فالباب منخفض هنا ايضاً.

- عليك الا تنذريني، فليس احب اليك من رؤية الدماء تنزف من رأسي.

كانت الغرفة الأولى محتوية على اثاث مليء بالغبار، فألقى الشاب نظرة سريعة ثم قال:

- لا بد انها ايضاً مليئة بالحشرات. وربما من الأفضل حرقها؟

- يجب الا تفعل ذلك فربما كانت ذات قيمة.

- لو كانت كذلك لبيعت منذ زمن. اما اذا احببت تقييمها لوحدك، فلك ملء الحرية.

- ربما معك حق.

- اي اعتراف هذا! فلو احرقتها لن تتهميني بأنني انسان قاس وبدون قلب؟

قالها بشيء من السخرية.

- كل اتهاماتي لك، لن تغير شيئاً من قراراتك.

- يسرني انك بدأت تفهمين وجهة نظري. هذه الغرفة واسعة جداً فهل الباقيات كذلك؟

- اذا كانت ذاكرتي جيدة، فنعم، لكن الاثنتين الاخريين صغيرتان على ما اظن.

- اذن نستطيع تحويلها الى مطبخ وحمامات؟

- لم لا؟

لكن في هذه اللحظة طرأت على بالها صورة المستقبل الذي ما تزال تشك به. شقة خاصة! ولكن الى اي حد؟ وهل سيكون هو فيها؟ اين سينام عندما يأتي الى الفندق؟ كانت تستعرض هذه الاسئلة في رأسها وهي مطرقة الرأس باتجاه الأرض المغبرة الوسخة، ولم ينبهها الا صوته قائلاً:

- أراك عصبية الآن؟

- بالفعل، فأنت المسؤول الوحيد الآن، وانا غير متعودة على هذا النوع من العلاقات او الأوهام.

- لا اعتقد انني اوهمك بشيء حتى الآن. ما بك؟ يا مورغانا، الم تشعري حتى اليوم ان رجلاً قد يريدك؟

- لم اقل العكس.

- لقد ارحتني الآن.

- عرضك يثيرني، لكنني لا اريده، فحياتي الخاصة ملك لي وحدي ولا تخصك ابداً.

- حياتك الخاصة؟ هل تقصدين روبير دونليفين ام العديد غيره من معذبي حبك؟

- من قال لك عن روبير؟

- اوه، لا بد اني سمعت اسمه في احد الأحاديث.

- طبعاً، فالتجسس من طبعك.

- اذا اردت. او بالاحرى، احب امتلاك المعلومات التي تفيدني.

- لا ارى كيف يدخل موضوع روبير في ما يفيدك؟

- لا يفيدني. بالعكس، فكل ما اريده هو اخذ صديقته منه، هل هذا الشرح كاف؟

- لن اسمع هذا الكلام السخيف، ثم ان اراءك لا تسليني

مطلقاً.

- وانا ايضاً، فهدفي ليس التسلية. انني جاد في ما اقول.

والتقت نظراتهما بينما كان قلب مورغانا يخفق بشدة وسرعة. وتابع:

- اذا احببت الاطمئنان، فاعلمي ان هذه الشقة ستكون لك ولوالدتك فقط. هل انت راضية الآن؟

- نعم.

ابتسم لوران ابتسامة واثقة واتجه الى الغرفة الأخرى، بينما كانت الفتاة تتبعه بخطى متأرجحة. فهي لا تعرف ماذا يجري وكيف، ثم هذه التطورات السريعة تجعلها تفاجأ بتقلبات مزاج هذا الشاب الغريب. انها لا تفهمه فكيف يصعقها بنظرة واحدة ثم يغرق فجأة في تأمل العوارض الخشبية؟ وفجأة سألها لوران عن اللوحات المصفوفة على الجدار:

- ما هذه اللوحات؟ هل هي ايضاً لأفراد العائلة؟

- لا اعتقد، انها لوحات عن الطبيعة او الخيل والكلاب، ولقد احتفظنا بها لقيمة اطاراتها فقط.

نظر اليها بامعان وتفحص كل واحدة منها، ثم قال لمورغانا:

- اسمحي لي ان اعرفك بالجد الكبير بينتريث، جدي انا وليس جدك انت. فهو كان قد رحل على ما اظن بعد الخلاف الكبير.

- بدون شك.

قالتها وهي تنظر الى الوجه الشاب على اللوحة الذي يشبه مرافقها بكل ملامحه. كانت تنتظر تعليقاً ساخراً من لوران، لكنها وبصوت هادىء وجدي قالت:

- هذه المشاكل العائلية، كم كانت سخيفة. تبدأ ولا يفكر احد

بايقافها ووضع حد لها، واتساءل ما اذا كان اجدادي يتذكرون اسباب تلك الخلافات.

ـ كان ذلك بسبب امرأة.

علق لوران على حديثها ثم سكت قليلاً قبل ان يكمل:

ـ لا تفاجأي فجيلنا ليس وحده الذي يحتكر عاطفة الحب.

ـ ليس هذا ما اعنيه، انني افكر فقط بجدي الذي كان عجوزاً ولم يتخل عن مبادئه الصارمة وكان يحب جدتي حباً كبيراً، لذلك لا اتصور تماماً المغامرات العاطفية التي تتحدث عنها.

ـ بمعنى آخر لو اردت، جميع المغامرين مع النساء يتحدرون من عائلتي انا.

ـ هذا ممكن، على كل حال عائلة بيتريث مشهورة بمغالاتها.

ـ وكيف يبرز ذلك؟

وهنا امسك بخصلة من شعر مورغانا واخذ يلاعبها.

ـ لا يبرز ذلك بوضوح.

ـ آه، اذن تعتبرين رقصك حول الصخرة شيئاً طبيعياً، ايتها الجنية مورغانا.

ـ توقف عن تسميتي هكذا، ولم اكن ارقص هناك. ثم لو عرفت انك كنت موجوداً لما. . .

لكنها توقفت عن الكلام ناظرة اليه بتمعن بينما تناول اللوحة قائلاً:

ـ اريد ان اعلقها في الممر، اذا كان هذا لا يزعجك.

ـ قلت لك انني استخف هذه الخلافات.

ـ تريدين الهدنة اذن يا آنسة مورغانا.

ـ لا.

ـ حسناً، اذن لن ارضى الا باستسلامك بدون شروط.

خرج من الغرفة بينما تفكر بأن تدعه يزور باقي الغرف لوحده. لكنها فكرت انها قررت السيطرة على اعصابها، لكي تسير الاشياء على ما يرام. خرجت وراءه وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة وتوجهت اليه:

ـ لن تجد لوحات هنا، انها ثياب قديمة فقط واشياء اخرى.

ـ ارى ذلك، فالعائلة على ما يبدو لا ترمي شيئاً.

ـ بلى، ولكن هذه الأشياء تخص جدتي، وبعد موتها وضع زوجها كل اشيائها هنا، آملاً ان يعيد النظر بها يوماً ما، لكن ذلك لم يتسن له.

سكتت مورغانا فقد رأت نفسها وهي صغيرة تمر وحيدة في هذا المكان تعبث بأغراضه. وتذكرت ذلك الثوب الذي وجدته حينها وكيف لبسته مسرورة، ثم ذلك الحذاء المطعم بالفضة الذي نزلت به تلك السلالم على مهلها خائفة ان تقع اذا فقدت توازنها، وهي ممسكة بأطراف الثوب الطويل. لقد كانت اميرة جدها المحبوبة وكان لا يفتأ يقول لها: انت اميرتي، اميرتي الوحيدة. اليوم تذكرت تلك الحادثة وكيف غضب جدها عندما رآها بتلك الثياب فوقف صارخاً، انزعي هذا. انزعيه فوراً، كيف تجرأت على فتح الصندوق؟ لا تقتربي منه بعد الآن.

بكت يومها كثيراً، وجاءت امها تواسيها بلطف ومحبة، كيف يقضي الحزن احياناً على مشاعر اخرى قاسية، ويغير من مسلك الناس. فجدها كان يحب جدتها كثيراً. كانت والدتها تشرح لها انه لم يتغلب على فقدها الذي كان صدمة كبيرة له. ولذلك فهو لم يغضب منك ابداً، بل اثرت واستفزيت مشاعره القديمة لشبهك التام

بجدتك».

لم يعد احد بعدها يذكر الحادثة، لكنها بقيت محفورة في ذاكرة مورغانا، ومن يومها لم تقترب من ذلك الصندوق. وعندما أفاقت من ذكرياتها قالت للوران:

ـ لا بد انك ترى ذلك عاطفياً جداً؟

ـ بالعكس، اقدر العواطف كثيراً، وعندما تكون موجهة جيداً.

ورفع غطاء الصندوق متعجباً.

ـ ها هي مئة سنة من الموضة النسائية، فلو رآها احد جامعي ثياب المسارح لطار من الفرح.

ـ بالفعل فأنا اتصور كل شيء في هذا البيت وكأنه تاريخ.

انزل لوران الغطاء ونظر اليها:

ـ اذا اردت الاحتفاظ بشيء فافعلي.

لكن مورغانا في هذه اللحظة كانت تقشعر لذكرى تلك الحادثة، وتستعيد مع ذلك صوراً جميلة عن علاقتها بجدها وابتسامته الرائعة.

ـ ما بك؟ هل تشعرين بالبرد؟ الأفضل ان ننزل. سألحق بك بعد قليل، اريد ان القي نظرة على الغرف الأخيرة.

اسرعت مورغانا بالنزول، فهي تريد ان تتخلص من جو هذه الغرف واغراضها العتيقة التي تذكرها بأيام لن تستعاد، لكنها ايضاً تريد الهرب من لوران. فكم كانت تحب ان تقول له انها لا تستطيع تجاهله، لكنها لا تقدر فهي لا تفتأ تفكر به وبكلامه: «الاستسلام بدون شرط». اي غرور هذا؟ قالت لنفسها، «يعتقد انه لا يقاوم». لكن لا، لن تترك له فرصة تحقيق احلامه بهذه السهولة، ستقاومه بكل قوة وتقاوم نفسها ايضاً.

عندما وصلت الى غرفتها كانت جميع هذه الافكار تضعها في حالة

من الغضب والألم، فتناولت فرشاة الشعر واخذت تسرح شعرها بعصبية. «لن اكون فريسة سهلة». قالتها بتحد واضح، وكأنها تحاول اقناع نفسها بأن لوران لم يؤثر على مشاعرها، ورويداً رويداً اخذت يدها تسرح خصلات الشعر بهدوء ونعومة وهي تتساءل بينها وبين نفسها: «اية علاقة يمكن لي ان اقيم مع رجل مثل لوران؟» ثم استدركت: «لا ليس مثل لوران بل مع لوران نفسه، وماذا سأطلب منه او سأفرض عليه لو قبلت العلاقة؟» لكنها فجأة انتبهت الى ملامحها في المرآة فاغمضت عينيها بقوة حتى لا ترى تلك التعابير التي ارتسمت على محياها. لكنها مع ذلك لم تستطع اخفاء ذلك الصوت الداخلي الذي كان يجيب: «اطلبي ما تشائين، الأرض والسماء». . .

كانت ترتجف لهذا الصوت الداخلي في اعماقها، فاخذت يدها وكمت فمها كأنها تريد اخراس كل ما كانت تريد قوله. ثم راحت تردد باصرار صامت: «لا، لا، لا اريد ابداً، ولن اجرؤ».

بقيت صامتة طيلة بعد الظهر، ووالدتها القلقة تسألها بين الحين والآخر عما بها فتجاوبها:

ـ انه وجع الرأس.

وتكمل ما تقوم به وكأنها آلة صماء تردد بدون توقف الحركات نفسها وتصغي في الوقت ذاته الى شرح امها حول مشاريع لوران. اما هي فلم تكن تجيب الا بنعم او لا. . . فأفكارها ليست هنا، انها ما تزال تستعيد لحظة حقيقتها الداخلية امام المرآة.

كانت مورغانا امام هذه التغييرات فزعة مرعوبة، فهي كانت تعتقد دائماً انها قوية الاعصاب وتتمتع بسيطرة كاملة على مشاعرها. ثم ان علاقتها مع روبير كانت لذيذة، ناعمة فلماذا تترك نفسها الآن لهذه المشاعر الغامضة مع لوران؟

في عصر ذلك النهار ارغمت مورغانا نفسها على الدخول الى الغرفة التي سيشغلها لوران لترى ما اذا كان ينقصها شيء، وعندما اصبحت في الداخل وقفت جامدة مثل الصنم لا تحرك غير عينيها متفحصة كل شيء حواليها. كانت تشعر وكأنها في ارض غريبة لا علاقة لها بها. ولم تستطع التركيز على ما تريد رؤيته فعلاً في هذه الغرفة. وفجأة سمعت وقع اقدام في الممر فالتفتت لترى والدتها يتبعها لوران:

- عزيزتي، كيف لا توجد مناشف في الغرفة؟

انتبهت مورغانا لهذه الملاحظة وكأنها اقترفت خطأ جسيماً:

- انا آسفة، سأذهب فوراً لاحضارها.

ثم خرجت بسرعة من الغرفة متجنبة نظرات لوران، ولم تعد اليها الا بعد ان تأكدت انه خرج منها.

لم تأخذ وقتاً طويلاً لتفحص المكان، نزلت بعده الى البهو الكبير حيث وجدت والدتها تنبئها بأن لوران خرج لتوه:

- لقد تحدثت مع الآنسة ميكنز عن المشاريع، فأعجبها ذلك كثيراً وسرها، واعتقد انها كانت ستجد صعوبة في الحصول على غرفة في هذا الفصل في مكان آخر، فالأعياد اقتربت والحجوزات لفترة الميلاد بدأت منذ الآن.

- ونحن؟ اتعتقدين ان باستطاعتنا استقبال النزلاء في هذه الأعياد؟

- لا اعتقد ذلك يا ابنتي، فالاشغال لن تكون منتهية حينذاك. اتتصورين كمية العمل المطلوبة من تمديدات مائية وتدفئة مركزية وغيرها؟ فالبيت سيتغير كثيراً.

- وهذا خوفي الحقيقي، ان يتحول البيت الى ما لا نريده. اتدرين

ان لوران وجد لوحة تمثل جده في الغرفة المقفلة؟

- وماذا تفعل اللوحة فوق؟

- لا ادري. ولكن قولي لي يا امي! هل تعرفين السبب الحقيقي لخلاف مارك بينتريث مع جدي؟

- لا يا عزيزتي، لم يقل لي احد شيئاً عن ذلك، فوالدك كان يغضب اذا تطرق احد لهذا الموضوع، وكم مرة طرحت على نفسي مثل هذه الاسئلة خاصة بعد مرور جيل. لكن ذلك الوقت كان سيئاً لاعطاء اي تفسير، خاصة ان جدتك كانت مريضة فوق ذلك.

- بالطبع، وخصوصاً عندما تقع على رأسنا في النهاية كما يحصل اليوم.

- آه يا ابنتي لو كنا فقط نستطيع التكهن بالمستقبل... ليس مثل الزا... اقصد اننا كنا غير مسؤولين حينها، فلو تخيل والدك حالتنا الآن لكان تصرف بطريقة مختلفة.

- ربما، على كل حال كل عائلة بينتريث ليست عقلانية.

واضافت في سرها «وانا ايضاً». ثم انتبهت لوالدتها وقالت:

- برأيك هل يمكن ان تكون هناك امرأة وراء ذلك الخلاف؟

- امرأة؟ ما هذه الفكرة الغريبة؟ لماذا تقولين هذا؟

- لوران هو الذي قاله.

وضعت السيدة بينتريث الصوف الذي كانت تحيكه من يدها ونظرت ملياً الى ابنتها:

- لا اعتقد ذلك، فجدك رحمه الله كان عطوفاً ومحبوباً، وكل الناس تقول انه لم ينظر بعد زواجه الى اية امرأة اخرى.

- بالمناسبة هل تعرفين ان اغراض جدتي ما تزال جميعها في الغرفة؟

- بالفعل، هذا صحيح. لقد تذكرت الآن ان جدك وضع اغراض زوجته ومنع الجميع من مسها.

- نعم، انني اتذكر ذلك جيداً.

- آه يا حبيبتي، كنت نسيت تلك الحادثة التعيسة. لم اقل ذلك في وقتها، لكنني وجدت ان تصرف جدك كان مغالياً، فجميع الاطفال يحبون التنكر في ملابس الكبار.

- ظننت حينها انك تقفين الى جانبه.

- ليس هذا بالضبط. لقد تفهمت تصرفه، دون ان اوافقه عليه، فهو كان رب البيت حينها، وكلامه لا يرد. لذلك وجدت صعوبة كبيرة في اول سنوات عيشي هنا.

كانت مورغانا تنظر الى امها نظرة حنونة عطوفة، فهي دائماً كانت تتحمل كل التصرفات دون اعتراض وبكثير من النعومة والصبر. والحياة مع الجد لم تكن دائماً سهلة. فحتى عندما كان عليها ان تصبح مسؤولة عن الفندق تعلمت كل شيء لوحدها بالرغم من الصعوبات والمشاكل المادية، ونجحت في خلق هذا الجو الحميم والهادىء الذي تحدث عنه لوران هذا الصباح.

ربما تصبح مع راتبها الشهري الدائم، وقلة الهموم، اكثر سعادة من قبل. لا بل ربما تنفتح من جديد على هذه الدنيا. لكن هذا ما تفكر به لوالدتها، فما هو مصيرها هي؟ والآن لا تشعر بنفسها الا وهي ضعيفة حساسة، بدون دفاع، مثل اوراق الخريف يحملها النسيم ويلقيها ارضاً مهما رقت خطراته.

كانت تبحث عن شيء يطمئنها، فلم تجد غير ديكور الغرفة تنظر

اليه بامعان، ولكن حتى هذا الديكور سيتغير قريباً.

«لا شيء سيبقى على ما هو عليه، ولا حتى انا». كانت تقول في نفسها ناظرة الى نيران المدفأة تأكل قطع الخشب الكبيرة وكأنها تستوحي منها الحقد والغضب على هذا الذي قلب حياتها. كانت تحاول لكنها لم تستطع...

٦ - اللعب بالنار

لم يعد لوران بعد ظهر ذلك اليوم وفي المساء اتصل ليقول انه سيتناول عشاءه خارجاً. فأقفلت مورغانا سماعة الهاتف بعنف وعادت الى طاولة الطعام وهي تردد «يعتقد نفسه في فندق». لكن عبثية هذه الملاحظة جعلتها تبتسم برقة...

كان المساء يقترب وصبرها ينفد، مغامرات «دافيد كوبرفيلد» التي كانت تعاود قراءتها لم تعد تهمها. والانتظار يبدو صعباً وطويلاً والتركيز على القراءة يقطعه اي صوت من الخارج تظنه هدير محرك.

عندما فتح الباب، لم يكن غير الماجور لاوسون الذي امضى يومه في لندن.

ـ انه مساء بارد، ستثلج السماء هذه الليلة على ما اظن.

قالها وهو يتقدم نحو المدفأة لكن عين السيدة بيتريث تركزت عليه قائلة:

ـ يا الهي، الزا معها حق فهي لا تفتأ تعلن عن قدوم شتاء قارس منذ عدة اسابيع.

ضحك الماجور لاوسون قائلاً:

ـ هذه التنبوءات تسليني دائماً، لكنني اعترف انني لم اؤمن بها حتى اليوم بالرغم من انها تنبأت لي هذا الصباح بحظ سعيد ويوم ناجح.

ـ وهل هذا ما حصل فعلاً؟

ـ نعم فموعدي مع وكيلي كان ناجحاً لأن احد الناشرين عرض عليه شراء روايتي.

قفزت مورغانا فرحة بينما صرخت الوالدة:

ـ يا الهي كم هذا جميل!

ـ بالفعل فانا قلت نفس الشيء.

قال ذلك ثم جلس على مقعد وثير بالقرب من المدفأة بينما سألته مورغانا:

ـ واي نوع من الروايات تكتب؟ وهل كتبت غيرها؟

ـ لا، انها روايتي الأولى، انها قصة بوليسية، وانا الآن اكتب الرواية الثانية، لهذا تسمعونني غالباً اضرب على الآلة الكاتبة.

ـ انها حادثة سعيدة فعلاً.

ـ آمل ذلك، لكنني مضطرب قليلاً، اذ اخاف ان تنقلب حياتي رأساً على عقب. فأنا احب الحياة الهادئة.

سألته الوالدة:

ـ آه وهل تريد ان تتركنا؟

ـ طبعاً لا. لكن وكيلي نبهني ان الحملة الدعائية التي سترافق

النشر ستكون قاسية نوعاً ما.

- ستعود جميعاً على الحملات الدعائية على ما اظن، فالمالك الجديد هو الذي يرأس مؤسسات فان كوسين وقد عرفنا ذلك اليوم.

- فان كوسين... لكنه اسم معروف عالمياً! ألا تعرفان ذلك؟

- ابداً، لوران هو الذي شرح لي ذلك، اليوم فقط. انها مسألة معقدة فأمه من النسل نفسه، فبعد موت جيل حيث كان زواجها فاشلاً، عادت وتزوجت فان كوسين فورث لوران وشقيقته من امه كل شيء.

كانت مورغانا تسمع كل هذا بينما نظرها يتركز شارداً على احرف الكتاب وكلماته، اذ ان حديث والدتها مع الماجور يهمها اكثر فالسيدة بينتريث تتحدث عن مشاريع لوران بينما الماجور يخبرها كل ما يعرفه عن شركات فان كوسين التي تشمل مؤسسات من الاملاك الكبيرة الى الصناعات البحرية والجوية. لذلك احست مورغانا بماهية لوران فهو رجل يحب القيادة ويتمتع بكل السلطة التي يريدها. يريد ان يكون الجميع طوع امره. فاذا كان هذا ما يهمه منها، فلن تكون اكثر من فتاة عابرة تنتهي علاقته بها فور اصلاح الفندق. يعود بعدها الى مطاراته ومصارفه واعماله الكثيرة.

اخيراً عاد الحديث الى رواية الماجور الذي كان يوجه حديثه اليهما ظاناً انهما تتقاسمان آراءه التي شرح من خلالها روايته. فوالدة مورغانا تتمتع بمحبة الناس وثقتهم والماجور ارمل يجد فيها امرأة قريبة الى قلبه، اضافة الى انه يجد في هاتين المرأتين عائلة لم يجدها حتى الآن.

اخيراً اعتذرت مورغانا لأن الليل كان قد تقدم وهي تعبة من عمل هذا النهار. فانطلقت الى غرفتها والقت بنفسها على السرير

تاركة عينيها تنظران الى السقف، لا تسمع غير دقات ساعة الحائط في الصالون الكبير. وعندما غطت في النوم قليلاً حلمت انها تبحث عن لوران في بيت عديد الغرف حيث مجموعات كثيفة من الناس تتحدث بصوت عال. وعندما افاقت كان العرق يتصبب منها واعصابها متوترة. والنهار سطع يملأ نوره غرفتها. كانت متأخرة، فعجلت بتزيين نفسها ولبست قميصاً ناعماً فوق بنطلون جينز ونزلت الى البهو حيث وجدت امها والزا تهتمان بفطور الصباح. اما هي فاسرعت الى المطبخ تتناول قهوتها مع البسكويت. لكن مفاجأتها كانت كبيرة حين رأت لوران جالساً على كرسي صغير بالقرب من النافذة بينما الماجور والآنسة ميكنز يتناولان فطورهما بهدوء.

وبصمت اقتربت منه حاملة القهوة والبسكويت ووضعتها امامه. وعندما ارادت الانسحاب امسكها قائلاً بصوت خافت:

- لماذا العجلة؟ اجلسي وتناولي القهوة معي.

- لا شكراً، لي عمل كثير هذا الصباح.

- انا ايضاً، لكن ذلك لا يمنع راحة صغيرة نسرقها قبل التعب القادم.

- ليس لدي الوقت، اعذرني فلست بحاجة للراحة.

- يخيل الي انك لم تنامي جيداً، فما بك؟

- ولم تسأل؟ وهل امضيت انت ليلة جميلة؟ هل كان سريرك مريحاً؟

- كان يمكن ان يكون افضل.

- آه انا آسفة، على كل حال تحدث مع والدتي حول هذا الموضوع وستجد لك حلاً.

ضحك لوران بنعومة وتهذيب ونظر اليها بعين ماكرة بينما

انسحبت مورغانا من قاعة الطعام بسرعة. وعند مرورها في الممر الرئيسي للبيت رن جرس الهاتف. تناولت السماعة وسألت بجفاف من يكون... استغرب روبير على الطرف الآخر هذه النبرة القاسية فسألها ما بها، وهل لديها مشاكل فأجابته:

- لا، لا ابداً كل شيء على ما يرام، ماذا هنالك يا روبير؟
- كنت اريد ابلاغك بوصول الحصان الجديد.
- اوه، كم هذا جميل، وكيف هو؟
- لست ادري تماماً حتى الآن. لكن يبدو انه رائع، هل لديك ساعة فراغ تأتين فيها لمشاهدته؟
- هذه دعوة لا يمكن رفضها، ولكن هل استطيع ركوبه؟
- ربما اذا كنت لطيفة، ايلين لم تعد لديها الرغبة في استخدامه لمدرسة تعليم ركوب الخيل.

قال ذلك ليغيظها قليلاً.

- لكنكم اشتريتموه لغرض التدريب.
- بالفعل كانت هذه نيتنا في البداية، لكن ايلين غيرت رأيها عندما رأته، فهو لا يليق بالمتدربين الجدد.

استغربت مورغانا ما سمعته من روبير فهم بحاجة لمثل هذا النوع من الخيول. فالحصان السابق كان عظيماً لكنه جموح لمن لا يعرف قيادته، فهو يدرك فوراً ان ممتطيه متردد فيأخذ بالسير على هواه. اضافة الى اخلاقه الصعبة التي كلفت بعض المتدربين الجدد عدة عضات غير مؤذية.

اقفلت السماعة بعد ان وعدته بالمجيء في اقرب وقت. فذلك يعطيها حجة للخروج من البيت قليلاً.

لكن الوالدة استغربت ما اعلنته لها مورغانا قائلة:

- يا عزيزتي كيف تخرجين من البيت؟ فربما كان لوران بحاجة اليك.
- اشك في ذلك فالبارحة انهينا زيارة البيت ولي الحق ان افكر بنفسي.
- طبعاً، لا اقول لا، ولكنه رب عملنا الآن وعلينا سؤاله قبل ان تتغيب.
- لا اعتقد ذلك فنحن لا نتبعه بالنفس والروح يا امي.

في هذه اللحظة دخلت الزا بجلبتها المعهودة:

- يا لله... اراك مستيقظة اليوم.
- اوه، كفى بحق السماء!

صرخت مورغانا في وجهها وفتحت خزانات الحائط لتخرج منها المكنسة الكهربائية وتذهب لتنظيف الغرف. فهي تعلم ان الجهد الجسماني يساعدها احياناً على تخفيف توترها، لكن هذا الصباح... لا شيء يفيد. نظرت الى امها عندما عادت لتضع المكنسة في مكانها نظرة تحد وقالت انها عازمة على الذهاب الى المزرعة لكنها ستعود قبل الغداء.

- حسناً يا ابنتي، فلوران ينتظرك خارجاً، اذ قرر توصيلك الى هناك بسيارته.

فوجئت بهذا الجواب ثم اجابت بسخرية:

- اشكره على همته، لكنني افضل استخدام سيارتنا.
- كما تريدين، لكن الأفضل ان تذهبي معه، اذ ان بطارية سيارتنا ضعيفة وقد لاحظت ذلك منذ عدة ايام.
- في هذه الحال سأذهب سيراً على الأقدام.

صعدت مورغانا الى غرفتها لتأخذ شالاً وعلى شفتيها لحن جميل

تردده. وما ان دخلت حتى فوجئت بلوران جالساً على كرسي بجانب النافذة:

- ماذا تفعل هنا؟

- انتظرك، اذ عليك ان تمري الى هنا حتى تتجملي للقاء الهائم في حبك. واذا انتظرتك خارجاً، اخشى ان تهربي ولا اراك.

صوته الهادىء والساخر معاً ينبىء بأنه توقع ما تريد مورغانا القيام به، ويحاول ما في وسعه تعطيله.

- شكراً جزيلاً، لكنني اريد الذهاب الى المزرعة وحدي وبدون مساعدتك.

ثم اكملت بسخرية:

- فأنا لا اريد فرض دورة كبيرة عليك.

- لا، لا ابداً فأنا ذاهب الى هناك.

- أ. . . أنت ذاهب ايضاً؟

- طبعاً. . . فقد قررت قبول دعوة الآنسة ايلين التي وجهتها الي البارحة مساء. اذ كنا قد تناولنا العشاء معاً في مطعم يسمى كارت بلانش. هل تعرفينه؟

- سمعت عنه.

اذن لقد امضى سهرته مع ايلين، قالت مورغانا في نفسها. لكن ذلك ليس غريباً فلقد اعلنت منذ ان رأته عن رغبتها في ذلك، لكنه تسرع في قبول دعوتها.

- انت . . . لا تضيع وقتك على ما ارى.

- وكيف استطيع ان اضيعه؟ فقد قلت لك انني سأغادر خلال اسبوع.

- وستذهب الآن الى المزرعة لرؤية ايلين.

- لقد عرضت علي ان تريني الاسطبلات.

- انك تهتم بالخيل اذن؟

رفع كتفيه قائلاً:

- نعم. . . فزوج والدتي كان يملك بضعة خيول في مزرعته في نيوهامشاير. لكن لم اكن امتطيها كثيراً.

فتحت مورغانا عينيها على وسعهما وقالت ساخرة:

- يا الهي، هل هناك ميدان لم يحلق فيه السيد لوران فان كوسين؟

- كنت مشغولاً ولم اهتم بكثير من الأشياء. لا بل ان اشياء كثيرة اعرفها دون ان اجيدها، هل تريدين امتحاني؟

- لا بالطبع، لكن ارجوك الآن ان تخرج من غرفتي.

- اذا كان لا بد من ذلك. لكن في المعتاد ليس غريباً مشاهدة امرأة تسرح شعرها وتضع الحمرة على شفتيها.

- واذا كنت اريد ان اغير ثيابي؟

- لكي تذهبي الى المزرعة وتمتطي حصاناً؟

قال ذلك وهو ينظر الى بنطلون الجينز ثم اردف:

- لا اظن ذلك، وحتى لو كان العكس، فسأبقى.

- يا الهي من هذا اللجوج. . . اريد ان ابقى وحيدة في غرفتي. أليس واضحاً ما اقول؟

- حسناً لديك خمس دقائق، فايلين اتصلت لتسأل اين اصبحنا.

- اين اصبحت انت، اذ انني اشك ان ايلين تسأل عني.

- وانا ايضاً، لكن ما همك من ذلك فأنت ذاهبة لرؤية اخيها، اذا لم اكن مخطئاً؟

- لست بحاجة لكثير من التفكير حتى تكتشف ذلك.

قالت ذلك بعنف ثم فتحت باب خزانتها واخرجت سترة بلا

اكمام لبستها بسرعة. ثم فتحت علبة اخرجت منها منديلاً مربعاً من الحرير ربطته على شعرها واستدارت ناحية لوران:

- انا جاهزة.

لوى رقبته بتهذيب ولكنه لم يعلق بشيء. فالعادة كانت ان ينتظر ساعات عديدة حتى تنتهي النساء اللواتي عرفهن من تصفيف شعرهن ولبس ثيابهن.

مورغانا واثقة من جمالها واناقتها، ولكنها تعرف انها لن تضاهي ايلين التي تلبس اثمن الثياب وتشتري اغلى العطور ومواد الزينة.

- سيارتي امام الباب.

قال ذلك وهو يفتح لها باب الغرفة.

- لقد لاحظت ذلك.

اجابت بصوت خافت وهي ترى سيارته الرياضية ذات اللون المعدني تنتظر امام المدخل.

- هل تريدين قيادتها؟

- اوه، ابداً.

اجابته فوراً خائفة ان تقود سيارة بهذه القوة والجبروت.

- ليست صعبة القيادة، انها اسهل من المكنسة الكهربائية.

صمتت قليلاً على هذه التلميحات الساخرة ونظرت اليه ببرود قائلة:

- على كل حال افضل سيارة اقل اثارة للاعصاب من هذه.

- كنت اظن انك تحبين كل ما هو عصبي.

- انك لا تعرفني جيداً حتى الآن. اليس كذلك؟ لا بل كونت فكرة سريعة عني وتحاول بشتى الطرق اثباتها.

- افضل الا نتحدث عن رأيي بك، اذا كانت تؤرقك هذه

الفكرة.

قال ذلك بهدوء ونعومة، لكن مورغانا كانت لا تشك ابداً في نوعية الرأي الذي كونه عنها، لذلك تداركت زلة لسانها قبل ان ترد عليه، ثم صعدت الى السيارة وصمتت مدهوشة امام لوحة القيادة. فهي لم تر في حياتها حتى الآن سيارة فيها مثل هذا العدد من الازرار وادوات القيادة الاخرى.

- لماذا تبتسمين؟

سألها لوران وهو يأخذ مكانه وراء المقود ثم نظر اليها منتظراً جوابها.

- يوم وصولك كنت اتمنى لو انك تخطىء منعرجاً وتقع مع سيارتك عن الصخور. لكنني ارى ان ذلك مستحيل الحدوث مع هذه السيارة. فيكفي ان تضغط على زر فيها حتى تتحول الى طائرة نفاثة بمقعد قاذف مع مظلة تحميك من السقوط القاتل. أليس كذلك؟

- لا انصحك بالتجربة.

واقلع لوران بالسيارة يقودها بكل مرونة وثقة، فهو سائق ماهر يعرف كيف يأخذ المنعرجات بكل سلاسة ويغير السرعات عندما يجب. في هذا الوقت كانت مورغانا تنظر اليه من طرف عينها تراقب حركاته في القيادة وتمعن النظر في يديه المتينتين على المقود واصابعه الطرية الطويلة. حتى اظافره كانت متناسقة... ثم تذكرت تلك الأصابع التي امسكت بها عدة مرات حتى الآن... انها فعلاً مرنة وقوية... قالت ذلك لنفسها وهي تكبت قشعريرة زحفت فجأة الى اطرافها.

عندما وصلا الى المزرعة، دلته مورغانا اين يوقف السيارة، بينما كان روبير يخرج من احد الاسطبلات هاشاً مع ابتسامة كبيرة على

شفتيه للفتاة التي جاء يستقبلها:

ـ نهارك سعيد يا عزيزتي مورغانا. كيف حالك؟ نهارك سعيد سيد كوسين.

خرج لوران من سيارته ناظراً حواليه بتمعن. لا شيء يسمح بالانتقاد او الملاحظة، فالمباني جميعها في حالة جيدة والاسطبلات معتنى بنظافتها. لكن ذلك لم يمنعه من توجيه بعض الاسئلة، فهو رجل اعمال وهذا من طبيعته، وكان روبير يجيب عليها بكل طيبة خاطر.

سأله روبير مازحاً:

ـ اليس لديك النية بانشاء مدرسة مشابهة في بولزيون؟

ولكن مزاحه كان يخفي خشية لديه من ان يقيم رجل الأعمال القوي مدرسة اخرى تأخذ منه زبائنه.

هز لوران رأسه مجيباً:

ـ بالعكس فأنا افكر كيف يمكن ان اجلب لك زبائن جدداً.

ثم التفت الى مورغانا مكملاً:

ـ الم يفكر والدك بالشراكة مع عائلة دونليفين، لتقديم اسعار مخفضة لمن يأتي لتعلم ركوب الخيل؟

ـ لا ابداً.

كان جوابها حاداً وجافاً فوالدها لم يكن رجل اعمال ناجحاً، ولوران يعرف ذلك جيداً فلم هذه الاسئلة؟ لكن روبير تدخل مجيباً:

ـ انها فكرة جيدة، سنناقشها يوماً ما.

ـ بكل سرور فأنا سآتي كثيراً الى هنا في الأشهر القادمة.

«آه حقاً»، قالت مورغانا لنفسها وهي تسمع هذا الحوار الذي يزيد من عصبيتها.

في هذه اللحظة وصلت ايلين في لباس الفروسية فاستقبلها لوران بابتسامة كبيرة. «وانه يطيل اقامته لهذا السبب»، كانت مورغانا تحدث نفسها. نظرته تعبر عن اعجابه الكبير بايلين. التفتت اليها متفحصة. كانت ايلين متفتحة كالوردة في نور الشمس، تستخدم كل فتنتها لإغوائه.

كانت هذه الأفكار تتوارد في خاطر مورغانا فلم تشعر باظافرها تنغرس لا ارادياً في راحة يدها. لكنها استفاقت وكأنها كانت في حلم مزعج. فماذا يحصل امامها الآن؟ ماذا سيفعل هذا الشاب الجذاب البهي الطلعة، القوي الشخصية؟ اجابت على هذه الاسئلة بينها وبين نفسها بمرارة مؤلمة... لوران وايلين شخصان من عالم واحد، يتكلمان لغة الأغنياء، يعيشان الأجواء نفسها، ومتعودان على نمط واحد من العيش. انهما على الأقل يفهمان مشاعرهما وحدودهما، ثم ان ايلين تعرف ماذا تريد على الأقل، فلا تترك نفسها مبهورة بسحر هذا الشاب كما تفعل هي.

خاطبت مورغانا نفسها... «على الأقل سأكون مرتاحة لو انشغل الواحد منهما بالآخر، ولن اكلف نفسي حينذاك عناء التفكير به».

كانت هذه الخاطرة تريحها كنتيجة حتمية لتفكيرها هذا، لكن مع ذلك شعرت بألم غامض يلفها. كانت تحس بانها فارغة مجوفة غير قادرة على التمييز بين مشاعرها العديدة. اذ ما كادت ايلين تلامس لوران بنعومة مرحبة بقدومه حتى اقشعرت مورغانا واحست بأن ناراً من الغيرة تلسعها. فأغمضت عينيها مفكرة:

«يا الهي. اني غيورة الآن. لا، لا يمكن ان يحدث هذا، مستحيل، فهذا يعني انني... لا، لا يمكن».

ومن بعيد وبينما كانت تدفع هذه المشاعر بعيداً عن تفكيرها،

كانت ايلين تقترب من لوران موشوشة. «انها سعيدة بمجيئه». بينما يرد عليها الشاب بصوت رجولي هادىء:

ـ لم استطع مقاومة رغبتي بالمجيء.

ارادت مورغانا ان تتدخل وتقطع حديثهما وتظهر لهما وجهاً قاسياً او تسمعهما كلاماً جافاً. لكنها لم تفعل اكثر من عض شفتيها.

ـ بماذا تفكرين يا مورغانا؟

وشوشها روبير في اذنها بنعومة.

ـ آه لو تعرف.

قالت ذلك وهي تتصنع ابتسامة غامضة.

ـ فكرت بذلك، ولكن على الأقل ستحتفظين ببيتك. فالبارحة كان يتكلم عن مشاريعه مع والدي وهو ينتظر ايلين.

ـ لن يكون فعلاً «بيتنا» فعندما تنتهي التصليحات في بولزيون لن يعود بالامكان التعرف عليه. على كل ليست لدي الرغبة في البقاء بعد ذلك، لقد وافقت على البقاء سنة واحدة من اجل والدتي، بعدها سأرحل عندما اطمئن عليها... من يدري، ربما اتعلم مهنة جديدة، هذا اذا لم يفتني القطار.

ـ ابداً، لم يفتك اي قطار حتى الآن فأنت ما تزالين شابة لا بل طفلة.

ثم صمت قليلاً متردداً واكمل:

ـ مورغانا، لست مجبرة على الرحيل، اتعرفين ذلك؟ لقد حدثتك بغموض في السابق، لكن اليوم بعد موت والدك ارى...

ـ لم يحن الوقت بعد... لكنني اشكرك يا روبير من كل قلبي... تعال الآن لنتفرج على الحصان الجديد.

كان الحصان رائعاً يقف في الاسطبل وقفة متحفزة شامخ الرأس.

اختلافه واضح عن بقية الخيول. صرخت مورغانا:

ـ آه كم هو رائع!

ثم التفتت نحو روبير، وتابعت:

ـ أليس معك تفاحة؟

احضر الشاب تفاحة من جانب المعلف فأخذتها مورغانا وقذفتها لـ بل كونتو الذي تناولها بفمه بنعومة، نافخاً على يدها علامة الشكر والامتنان.

ـ انك مهذب فعلاً.

قالت مورغانا ذلك مفكرة بالحصان السابق ماتيو. ثم تطلعت نحو روبير:

ـ وكيف حال ماتيو؟

ـ على ما هو عليه، انه لا يتغير.

اتجها معاً نحو الحصان الذي كان يقف بثقة وهدوء موحياً بالطاعة والاذعان. وما ان اقتربت منه مورغانا مبدية اعجابها به حتى سمعت صوت لوران:

ـ انه جميل حقاً.

لكن مورغانا التفتت الى روبير بنظرة خاصة ففهم قصدها وبدأ حديثه عن الحصان وما يتمتع به من مزايا. ولم يتوقف الا عندما افهمته بنكزة صغيرة من يدها على خاصرته. بعدها ابتعد لوران ليكمل حديثه مع ايلين فالتفت اليها روبير:

ـ ماذا يحدث؟

ـ ما رأيك لو طلبنا من لوران امتطاء ماتيو؟

قالتها بصوت خافت ففهم روبير لماذا لم ترد ان يعدد كل صفات هذا الحصان. فهو معروف بنزقه وطيشه وعدم اذعانه لخياله...

اجابها روبير مستغرباً:

ـ لا، لا يمكن ابداً. . .

ـ اوه روبير لم لا. . . نستطيع ان نذهب باتجاه الحقل الكبير فاذا وقع لوران فسيكون ذلك على سجادة من عشب ناعم، فلم تخاف؟ ثم انه لم يفتأ يحدثني منذ الصباح عن قدراته ومواهبه في ركوب الخيل.

توقفت لحظة تنظر الى ردة فعل روبير على كلامها المعسول وطريقتها في اقناعه ثم تابعت:

ـ فلنر اذا ما كان ذلك صحيحاً. فاستناداً الى ايلين يبدو ان ماتيو يعرف معلمه فور الامتطاء، فلا خطر في ذلك. اريد فقط ان ارى ثياب لوران ملطخة بالوحل. فمنذ مجيئه الى بولزيون لم يتوقف عن اعطاء الأوامر. واريد مرة واحدة على الأقل ان ارى خيبته.

ـ لكن ايلين لن تقبل ذلك.

ـ لن تعرف. . . فعندما تذهب لتحضير القهوة، نقنعه بعد ان تسرج الحصان.

تنهد روبير تنهيدة من لم يقتنع. لكنه قال:

ـ حسناً، ولكن اتمنى ان لا يصيبه مكروه. والا فلست ادري اذا ما كان تأميننا يكفي لسد نفقات هذا المليونير.

ولم يكد ينهي كلامه حتى ظهرت والدته فجأة تنادي على ايلين طالبة منها ان تتصل بصديقتها من اجل دعوة عشاء، ومؤكدة لها انه يجب الاتصال بها فوراً لأن الدعوة مهمة. . . اذن خرجت ايلين بمساعدة القدر لتخلي الجو للعبة مورغانا. . .

ـ ايلين لا تنسي ان تحضري لنا القهوة في طريقك.

اجابته ايلين بنعم سريعة، ثم ركضت مع امها باتجاه البيت. . .

وعندما خلا الجو من المرأتين التفت روبير ناحية مورغانا قائلاً:

ـ اظنك تريدين امتطاء «بل كونتو» الآن؟

ـ آه طبعاً، وهل تقدر ان تمنع عني هذه الفرصة الذهبية؟

ثم استدركت:

ـ الا اذا كان لوران يريد امتطاءه؟

لم يلبث لوران ان اجابها بكل تهذيب ولباقة:

ـ لا ابداً، فالآنسات لهن اولوية الاختيار. . .

ـ ولم لا تمتطي حصاناً اخر لمرافقتي؟

قالتها وكأن الفكرة طرأت لها فوراً. لكنها لم تلبث ان فوجئت بجوابه:

ـ لا شكراً، لا اريد هذا النوع من التمارين الآن.

عندها بدا روبير وكأنه استراح من حمل ثقيل. . . لكن مورغانا العنيدة اكملت اصرارها قائلة:

ـ هيا، هيا يا لوران لا يمكنك ان تزور اسطبل خيول دون امتطاء حصان. . . روبير سيأتيك بحصان جيد. . . هذا الا اذا كنت تخاف ان تظهر عجزك امام ايلين.

لمعت عينا لوران امام هذا التحدي فتنفس عميقاً ثم تطلع صوب روبير:

ـ حسناً. . . اي حصان تختاره لي؟

فتردد روبير قليلاً وتأتأ قبل ان يقول:

ـ ماتيو، ما رأيك؟ لقد ابديت اعجابك به قبل لحظات.

ـ عظيم.

بدأ الجميع يحضرون خيولهم ويسرجونها بينما كانت مورغانا تحاول اخفاء ارتعاشها الذي شعر به الحصان فحاولت بوشوشة ناعمة ان

تهدئه. في ذلك الوقت كان روبير قد اسرج ماتيو فنظرت اليه مورغانا بخوف واضح وتساءلت من اين جاءتها هذه الفكرة العابثة... فماذا لو حصل شيء؟ ثم تمنت لو تعود ايلين فجأة لكي تنهي هذه اللعبة التي بدأت تشعر بخطورتها... لكن روبير انتشلها من شرودها قائلاً:

ـ انصحكما بالذهاب الى حقل الاعشاب قبل الدخول الى ميدان الحواجز.

هزت رأسها بالموافقة وامتطت حصانها، لكنها هي التي كانت خائفة الآن ولا تدري لماذا. كانت تريد تحقير لوران فقط... لكنها الآن خائفة ومن الصعب التراجع. لكزت حصانها واتجهت ناحية الحقل المقصود يتبعها لوران ثم روبير على حصان ثالث. كانت تنظر الى لوران وحصانه الذي كان يبدو هادئاً طبعاً... لكن من المحتمل ان يتغير مزاجه بين لحظة واخرى.

اقترب منها روبير:

ـ ستلومني ايلين عندما تعرف.

ولم يكد ينهي كلمته حتى التفت الجميع صوب البيت حيث كانت ايلين تلوح بيديها طالبة منهم العودة... لكن طلبها جاء متأخراً فحصان لوران جفل فجأة واخذ يضرب الأرض بحافريه حيناً والهواء حيناً آخر، محاولاً بكل جهده ايقاع فارسه. احست مورغانا بخطأها فاستدارت حتى لا ترى لوران يقع ارضاً، واغمضت عينيها مكممة فمها لئلا تصرخ... لوران سيقع حتماً بين لحظة واخرى وستكون هي المسؤولة. آه يا ربي ماذا فعلت... ماذا فعلت... كانت تردد خائفة وهي ما تزال مغمضة العينين لكن روبير ناداها قائلاً:

ـ انظري ما حصل...

التفتت اليه مرعوبة:

ـ ماذا؟ هل وقع عن الحصان؟

ـ لا، انظري لقد قفز به عن الحاجز الخشبي وها هو يعدو هناك... اعتقد انه سيدور به دورة حتى يعود... يبدو ان هذا الحصان الشرس وجد فارسه...

في هذه اللحظة كانت ايلين قد وصلت على مقربة منها متطلعة بنظرة شريرة الى مورغانا:

ـ من صاحب هذه الفكرة الجهنمية؟

ـ لا تغضبي. فالحمد لله لم يحصل شيء... لقد كانت مزحة بسيطة ولا شيء آخر.

لكن ايلين لم تسمع جواب اخيها وبقيت تنظر بامعان الى مورغانا بعين مليئة بالحقد...

ـ سأعود بيل كونتو الى حظيرته...

ـ فكرة عظيمة... وارجوك الا تقترب بعد الآن من خيولي وحظائري...

شعرت مورغانا بانها تلقت صفعة قوية ولم تقو على الرد او الاجابة. لكن روبير تدارك الموقف قائلاً:

ـ بحق السماء... اهدئي. فأنا مسؤول ايضاً عن هذا المزاح.. على كل حال، فانني لو نبهت لوران الى خطورة امتطاء هذا الحصان لكان تحداني وامتطاه...

لكن مورغانا رفعت رأسها وقاطعت روبير:

ـ دعك يا روبير فأنا مخطئة... لقد تصرفت بحماقة.

ثم لوت عنق حصانها وعادت به الى الحظيرة تسرع من حل سرجه والخروج من هذا المكان. فهي لن تتحمل كلام ايلين خاصة عندما

يعود لوران وتخبره بما حصل... وما كادت تنتهي من ادخال الحصان الى معلفه حتى ربتت على عنقه واستدارت خارجة لتفاجأ بلوران يقف امام الباب. فتحت فمها مدهوشة تريد الصراخ... لكن الشاب الطويل القامة أخذ بالسير متجهاً نحوها بخطوات مدروسة وعيناه تحدقان فيها بامعان.

٧- الغبار الذهبي

تراجعت مورغانا الى الوراء عند رؤيتها لوران لكنها حاولت جهدها ألا تبدي خوفاً أراد الارتسام على وجهها. ثم ان روبير لن يكون بعيداً اذا ما حصل شيء... لذلك سألت:

ـ هل أعجبتك هذه النزهة؟

ـ وجدتها حيوية جداً.

كان جوابه مقتضباً لكن صارماً وبصوت أدخل الى قلبها رعشة خوف وعدم اطمئنان. لكنه أكمل:

ـ كان عليّ ان أفكر قبل امتطائه. جملة لا حاجة لتفسيرها؟ او ربما لم تذهبي بأفكارك الى هذا الحد؟

ـ طبعاً لا. ليس هذا ما قصدته... ثم لم يحصل شيء أليس

كذلك؟

ـ فعلا. ولكن ليس بفضلك... تظنينني مبتدئاً؟

ـ أنت الذي تقول هذا...

ـ هذا دورك الآن. فقد كونت فكرة سريعة عني... وخاطئة في جميع الأحوال.

رفعت مورغانا كتفيها...

ـ حسناً... اعتبر انني أخذت صفعة على يدي جزاء عملي. فهل استطيع الذهاب الآن؟

ـ لا... لا تستطيعين. ثم ليست يدك ما ساصفعه عقاباً لك...

فوجئت الفتاة بكلامه فاستدركت غاضبة:

ـ امنعك من وضع يدك عليّ، هل تسمع؟

ـ أعتقد انني لن «أضعها» عليك...

ازدادت مفاجأة مورغانا لهذا التهديد، فهي لن تسمح له بضربها لو حاول ذلك، ثم أين روبير... تريد ان تصرخ بأعلى صوتها مستنجدة، لكنها كانت تشعر وكأن صوتها لا يخرج من حنجرتها.

ـ لن يسمعك أحد لو صرخت... انه ما يزال في الحظيرة مع شقيقته.

ثم لمح في عينيها نية الهروب باتجاه الباب... فأكمل:

ـ لا أنصحك بالركض أمامي، والاتجاه خارج هذا المكان. فقد قررت مداواتك على انفراد...

لم يعد وراء مورغانا مكان تتراجع اليه... غير خشب الحظيرة الذي أسند ظهرها لكن لوران وبسرعة البرق أمسك بها... وأخذ يعاقبها وكأنها طفلة صغيرة تتلقى الصفعات جزاء شيطنتها. كانت

تشعر بالاحتقار وبعض الألم لكنه ما ان انتهى من هذه الطريقة الفريدة في معاقبة فتاة شابة حتى كانت مورغانا تصرخ والدموع في عينيها:

ـ وحش مفترس...

ـ أنا أعرف ايضا بعض الأوصاف التي تناسبك تماماً...

كان يتكلم معها بكل ثقة وكأنه لم يأسف على ما قام به... وينظر اليها وهي تمسح دموعها بقفا يدها كالطفلة الصغيرة.

ـ يا ليته أوقعك أرضاً... وكسر عنقك.

ـ أعرف انك كنت تريدين ذلك... لكن للأسف لقد خيبت أملك، ثم انني لا أريد ان أموت لكي ترثي هذا الركام من الحجارة الذي اسمه بولزيون. وحتى لو ورثته فلن تستطيعي الاحتفاظ به، فالدائنون كثر وسيجبرونك عاجلا ام آجلا على بيعه... وهكذا تفقدين كل شيء. أهذا ما تريدين؟

ـ لقد فقدته في جميع الأحوال. فقدت كل شيء. أهذا ما تريد؟ انني أكرهك... أكرهك...

ـ ليس سراً على أحد ما تقولين. مهما يكن انت مجبرة على تحمّلي... فأنا هنا. وسأبقى ولم احصل حتى الآن على كل ما أريد.

وبخطوات ثابتة تقدم نحوها، فحاولت ان تتراجع بسرعة. لكنها لم تستطع. وما كان منه الا ان عانقها... كان هذا بالنسبة اليها عقاباً قاسياً واحتقاراً. لكن في قرارة نفسها كانت تشعر برغبتها العميقة في قرب هذا الرجل... احساس جديد لم تكن تعرفه سابقاً، لا بل كانت تخافه... لكن بالرغم من كل الحقد الذي تكنه في الظاهر للوران كانت تشعر وكأن في داخلها مورغانا أخرى غير التي تعرفها... تريد هذا الرجل. لا بل انها... وخافت. خافت ان

تفكر بهذه الكلمة التي طالما هربت منها... الحب...

أصوات في الخارج نبهت الشابين فاستدار لوران يصفف شعره بيده ويجيب:

- سنأتي حالا.

مورغانا المحمرة خجلا وغضباً... او حباً، لم تكن تعرف ماذا تريد. الشيء الوحيد الذي تملّكها كان الرغبة في العودة سريعاً الى البيت وعدم رؤية أحد الآن.

- أريد العودة الى البيت.

- سأرافقك...

نظرت اليه غاضبة.

- لا... سأعود سيراً على الأقدام.

كانت فعلا تريد العودة وحيدة لتشعر بأنها تملك نفسها وتتحكم بها. ثم انها لا تريد اطلاقاً البقاء مع لوران. تريد ان تعود الى شعورها بأنها حرة، وغير متأثرة بما يقوم به نحوها. أطرقت برأسها وتعابير الانزعاج على وجهها... فواضح انها لا تريد رؤية احد. أدرك الشاب بحسه الذكي وبخبرته ما يجول في خاطرها:

- اذا كنت لا تريدين لقاءهما، فسأحاول تأخيرهما في الخارج.

- عظيم... تستدرك دائماً ما يناسبك.

قالت ذلك بسرعة وعجلة وبسخرية واضحة.

- لا أقصد ذلك.

- لا يهمني ان أعرف ماذا قصدت. كل ما أريده الآن هو الرحيل من هنا بأسرع وقت.

بقيت وحيدة في الاسطبل تنظر الى الأرض لكنها سمعت صوت خطواته تتجه نحو الباب.

كانت الأيام التي توالت بعد ذلك التاريخ أقسى واصعب أيام حياتها... فهي لا تستطيع البوح لأحد. وترى نفسها مجبرة على القيام بدور الانسان المنزعج والمتضايق خاصة عندما يتعلق الأمر بلوران. من جهة كان ذلك صحيحاً، فهي لا تثق به ابداً، لكنها اكتشفت شيئاً آخر بدأ يخيفها وهو انها لا تثق بنفسها ايضا...

اكتشاف صعب ان تتحمله. فهو الذي يدفعها هذه الأيام للهروب الى غرفتها كلما أنهت ما عليها القيام به من أعمال روتينية. ولحسن الحظ كانت والدتها مشغولة طيلة هذه الفترة بمشاريع اصلاح البيت وتغييره... لكن الزا لم تخدع بهذه المظاهر، كانت تعرف ان دواخل مورغانا تعصف فيها رياح عاتية لا تريد الافصاح عنها... وفي أحد الأيام استفزتها عند الصباح. فلم تلبث مورغانا ان انفجرت بالبكاء فأخذتها الطباخة الطيبة بين ذراعيها وكأنها طفلة صغيرة:

- لا تبكي يا صغيرتي. لا تبكي يا جميلتي. ساعة الأحزان والآلام جاءت كما تنبأت لك لكن اطمئني فستزول قريباً...

«كل شيء سيزول» كانت مورغانا تفكر. «حتى الحب»... فهي تتجنب لوران ما استطاعت لكن مجرد سماع صوته في الغرفة المجاورة يجعل قلبها يخفق بقوة عجيبة لم تعهدها. «هذا ليس الحب، انه شيء آخر». كانت تقنع نفسها بأنه جاذب عابر وحسب... ويجب ان يزول.

كانت الأيام تمضي بسرعة ومورغانا لا تعرف أين يقضي لوران أوقاته. لكنها كانت تشك انه يذهب كثيراً الى مزرعة ايلين وروبير. المح الأخير الى ذلك عندما رآه آخر مرة وأخذ يشرح بعفوية صادقة:

- انه شيء مسلّ فعلا. فأهلي الذين كانوا يرغبون في شراء

بولزيون ترينهم اليوم يناقشون مسألة بيع المزرعة لابن عمك لوران، ربما.

- لم تقول ربما؟

- أقول ربما لأنني أرى لوران يأتي كثيراً الى مزرعتنا. ايلين مسرورة جداً. ثم انه يسأل كثيراً عن ادارة المزرعة . . .

- أولا . . . توقف عن تسميته «ابن عمي» فروابط العائلة بيننا شبه معدومة. ثم انه لا يستعمل اسم العائلة الا حين يروق له . . . او حين يفيده ذلك.

- في رأيي انه يفيد من كل شيء تقريباً . . . ومن كل الناس عندما يرى ان مصلحته تفرض ذلك.

لم تكن مورغانا تعتقد ان روبير يحلل الأشياء والنفسيات بهذه الطريقة. لكنه يقول الحقيقة . . . فلوران اراد في بادىء الأمر ان يتسلى بها وعندما رآها تعاند التفت صوب ايلين التي تريد القبول . . . وحتى لو عرفت بنواياه فذلك لا يهمها. انها من تلك الطينة من النساء اللواتي يعشن ليومهن. «بينما أنا- كانت تفكر بينها وبين نفسها- لو اصبت بخيبة أمل فلسوف تلاحقني حتى مماتي».

- ماذا بك؟ تبدين دائماً وكأنك في مكان آخر. هل تسمعينني؟

- أنا آسفة يا روبير. ماذا كنت تقول؟

- كنت أسأل ما بك؟ لكن ما عليك. أريد فقط ان أعرف اذا كنت ستأتين الى حفلة لوسي تابلتون التنكرية عشية العيد.

- آه لا أعتقد. ثم ان ايلين ستكون هناك وأظن انها لا ترغب برؤيتي. هذا ما قالته آخر مرة.

- لا أظنك أخذت كلامها على محمل الجد؟ انها تغضب وتصرخ احياناً. لكنها تهدأ بسرعة. وأظنها نسيت الآن ما حصل.

- هل تعتقد ذلك حقاً؟

- طبعاً. وبالفعل فهي التي سألتني اذا كنت ستأتين معي الى الحفلة أم لا. فذلك اليوم كانت غاضبة جداً. فقدت اعصابها. ثم انك لم تسمعي ما قالته بعد ذهابك.

- انني آسفة فعلا على تلك الحادثة. كان عليّ ألا أورطك بها . . .

- هيا. كل شيء انتهى على ما يرام. ولوران كان فارساً بارعاً. انه يفهم جيداً كل ما يخص الخيول. شقيقتي تتوجه اليه الآن عندما تعترضها مشكلة، وليس الي . . .

قالها بقليل من الانزعاج فاستدركت لمؤاساته:

- لكن أنت أهم بالنسبة الى ايلين فهي في النهاية تأخذ بنصائحك. ولوران ليس الا طارئاً جديداً . . .

- هه. برأيي انها تنوي اطالة هذه العلاقة. لا بل ربما تفكر بجعلها دائمة. على كل، فكرة ان يصبح لوران زوج اختي لا تفرحني أبداً. ثم ان له كلمته هو ايضا . . .

- طبعاً. بالفعل . . . لا اعرف هذا. هل وصلت الأشياء الى هذا الحد من الجدية؟

قالت ذلك بصعوبة فقد أحست وكأنها أصيبت بجفاف في حلقها. لكن روبير لم ينتبه الى حالتها فقد هزّ كتفيه قائلاً:

- لا أدري مدى جدية هذه العلاقة. لكن ايلين فتاة تتميز بالاصرار والعناد.

- وأهلك ماذا يقولون؟

- لقد عادوا الى لندن. لكن أمي ترى في لوران «مكسباً عظيماً». آه لو يرحل من هنا. ألا يخاف على مؤسساته ان تنهار في غيابه؟

- اشك في ذلك. فهو يمضي يومياً أكثر من ساعة على الهاتف.

أتمنى لو انه لم يأت قط الى هذه المنطقة.

- على كل حال، سيكون في السهرة برفقة ايلين. فهل أنت واثقة من عدم رغبتك في المجيء؟

- في الحقيقة... لم لا. فربما كان ذلك مسلياً.

- فعلا وأنت بحاجة لذلك. ألا ترين كم أصبحت عصبية منذ مدة؟ عليك ان تروّحي قليلا عن نفسك.

كان روبير لطيفاً جداً معها، تتركه يمسك بيدها برفق ونعومة لكنه عندما حاول معانقتها صدّته بقوة. فهي لا تريد ايذاءه. لكنها في المقابل لا تشعر بشيء نحوه وفي كل مرة تشعر انها تبتعد عنه أكثر فأكثر... ولا تعرف ماذا ستفعل. هل يجب عليها ان لا تراه بعد الآن بحجة العمل وترفض مواعيده؟ هكذا سينسى بعد فترة... لكنها كانت تشعر بعدم قدرتها على تركه فهو درعها الواقي الآن. انه دفاعها الوحيد في مواجهة لوران. فاذا فقدته فقدت الأمن والحماية. سيشعر لوران بقيمته أكثر. سيسر ربما. لكن الحمدلله ان الأشياء لم تجر كما يريد. فهي ما تزال حتى الآن تدافع عن نفسها. فاذا فقدت ذلك فسيكون من اجل الحصول عليه بدون قيود او حدود، وليس من أجل علاقة عابرة... الندم فيها اكثر من الراحة. لكن على اي حال لن تظهر شيئاً ولن تتركه يفهم مشاعرها أبداً...

في صباح اليوم التالي وصل المهندس المعماري بول كروسبي. كان رجلا طويل القامة يلبس نظارة مذهبة ويتمتع بابتسامة خلابة. انه شاب هادىء قليل الكلام. جذاب المحيّا... كان يفحص البيت بكل دقائقه وتفاصيله بكل عناية وثقة. مما أثار تقدير السيدة بينتريث خاصة عندما أعجبته المدفأة الكبيرة وزينتها القديمة فأعرب عن نيته بالاحتفاظ بأسلوب البيت وأناقته المميزة. كان ذلك مفرحاً

للوالدة التي تأكدت ان لوران وفى بوعده، ولن يحول البيت الى مبنى من البلاستيك والباطون.

لكنه ليس هنا. فعند وصول كروسبي التقى به في المكتب لساعة من الزمن ثم سافر الى السويد دون ان يحدد موعد عودته. على كل لا بد ان يعود في نهاية الاسبوع ليذهب مع ايلين الى الحفلة.

وجدت مورغانا في مرافقة بول كروسبي متعة كبيرة. فكانت تجلس معه في المكتب الصغير فيتحدثان او تبقى لمراجعة بعض الأوراق بينما يكتب هو تقريره عن التغييرات المفترضة.

هذا اليوم... أنزل بول صورة مارك بينتريث لتنظيفها... وبينما كان في المكتب التفت الى مورغانا:

- أصول العائلات تهمني كثيراً. لقد استطعت متابعة شجرة عائلتي حتى بداية هذا القرن. وكم أود لو ذهبت أبعد من ذلك... من يدري؟ ربما كنت من أحفاد وليم الفاتح.

- أحياناً تحدث مفاجآت مزعجة. فلو صدق ما قاله اجدادي لكنت الآن من أحفاد اتيلا.

- آه. انها ملاحظة جديرة بالاهتمام. فبعد الآن لن أخاطر بسؤالك كثيراً...

- لماذا؟ هل تخاف ان تعرف أشياء غير محببة عن رب عملك؟

تعجّب لهذا الكلام الذي تقوله فالتفت مستغرباً:

- لوران... بالعكس انه رب عمل رائع ورجل ثقة.

- لا بد انك مسؤول عن حملاته الاعلانية.

- لا حاجة به الى ذلك. وأظن ان التوتر بينكما شيء طبيعي. على كل كان يمكن ان تصبحي في وضع أصعب جداً لو باع البيت او أقفله ولم يهتم بشيء على الاطلاق.

- نعم، انه احتمال منطقي . . .

- ثم أحب ان أقول لك شيئاً بالنسبة للوران. فأنا لم أره يوماً مهتماً شخصياً بمشروع كما أراه اليوم. لقد ألغى مواعيد كثيرة من اجل ذلك.

- ربما وجد هنا ما أمسكه عن العودة.

ابتسم بول وأجاب:

- ربما. لكن لا بد ان يكون هذا الشخص غير اعتيادي حتى ينجح في تحويل انتباهه عن عمله.

- هل جرب كثيرون ذلك؟

سألته مورغانا والحشرية تملأ نفسها حول كل ما يتعلق بلوران.

- طبعاً. عدد لا بأس به من النساء حاولن ذلك. لكن لوران يعرف انه جذاب ويحب ان يستخدم سحره وجاذبيته. ثم ان فكرة الزواج لم تكن تروقه بعدما رأى كل ما حصل في عائلته.

ثم استدرك:

- أنت تعرفين كل ما حصل. أليس كذلك؟

- في الحقيقة ليس كل شيء. فهو لا يتكلم كثيراً عن ماضيه. لكنه ألمح في احدى المرات الى الزواج الفاشل في عائلته.

- للأسف. . . هذا صحيح. فقد افترقنا قبل قليل من موت والده. . لقد كنا سوية في المدرسة الداخلية وفي كل مرة كانت تأتيه رسائل العائلة كان ينقبض ويتملكه الصمت والشرود.

سكت بول قليلا وهو يتطلع الى اوراقه ثم رفع رأسه بعد قليل متطلعاً الى مورغانا:

- لوران طلب مني ان أسمح لك باختيار ما تريدين من حاجيات جدتك. فاذا أردت ذلك، افعليه بسرعة لأنني أريد افراغ كل شيء

قبل المباشرة بالاعمال والتصليحات.

- بالفعل، هناك ثياب جميلة جداً لكنها قديمة. ولوران كان قد عرض عليّ بيعها لأحد المهتمين بثياب المسارح.

- افعلي ما تريدين وأنا سأهتم بالباقي.

في اليوم ذاته أنزلوا الحقائب الكبيرة. ففتحتها مورغانا بكثير من الفضول والخوف. فتهديدات جدها وهي طفلة، شعرت وكأنها ما تزال معلقة فوق رأسها. الثياب كانت مرتبة بدقة وعناية في الصناديق. وبالرغم من مرور السنين ما تزال تبدو وكأنها جديدة. كانت مورغانا تفاجأ كلما رأت ثوباً جميلا. فواحد طويل للسهرة مرصع باللآلىء، وقمصان من الحرير الصافي او من القطن الغالي المزركش. جميعها كانت توحي بتلك الأناقة الغابرة لبداية القرن. وفي قعر الصندوق وجدت ألبوماً اصفرّت صوره فوعدت نفسها برؤيته مع والدتها فيما بعد. وبقربه كانت هناك محفظة من الجلد الأصلي مقفلة ومفتاحها غير موجود. حاولت عبثاً التفتيش والتنقيب عنه فلم تجده. وعندما يئست من العثور على المفتاح وضعت الحقيبة الجلدية جانباً واعدة نفسها بفتحها بعد ان ترى كل ما هو موجود في الصناديق.

الصندوق الثالث الكبير كان مفاجأة عظيمة. فقد كانت فيه لفة جميلة من الحرير مرتبة بعناية كبيرة. انه الفستان الجميل الذي كانت تلبسه جدتها امام الرسام الذي نقل صورتها الى تلك اللوحة الزيتية الشهيرة. كانت فرحة بهذه المفاجأة الحلوة. طوت هذا الفستان من الحرير الفخم المزركش بالدانتيلا الخضراء والمشغول بخيطان الذهب اللماعة، بينما صدريته القصيرة تكمل اناقته بذهبها الخالص وعملها المتقن.

لن تعطي او تبيع هذه الثروة الصغيرة. لذلك لم تلبث ان حملتها وأسرعت الى غرفتها تقف امام المرآة تجرب هذا الثوب الرائع.

روبير كان قد سألها ماذا ستلبس للحفلة التنكرية. ولم تفكر بذلك حتى الآنه لكن هذا الفستان الذي يعطي لعينيها بريق الزمرد ولقامتها طراوة الحرير سيكون أفضل لباس ترتديه في حياتها.

كان تفكيرها يذهب الى البعيد البعيد، ثم توقفت مركزة نظرها على المرآة. الفتاة التي تراها ليست مورغانا التي تعرفها. انها لم تعد تتعرف على نفسها... جميلة كما تظهر. لا بل رائعة... جذابة. ارخت شعرها وحركت رأسها فنشرته على كتفيها ممعنة النظر في المرآة. انها أنوثة كانت تتجاهلها. فلماذا يحصل لها هذا؟

٨ـ وجه في المرآة

مضى الأسبوع بسرعة عجيبة فبول كروسبي سافر وحل مكانه ستيف شيسولم. مورغانا ووالدتها لم تتوقفا عن العمل ورؤية الخطط العديدة المعروضة عليهما حول تقسيم البيت ومواضع الحمامات والمطبخ وكل ما يلزم لراحتهما... لكن مورغانا كانت تحاول دائماً ترك القرار لوالدتها.

ـ خذي القرارات بنفسك يا أمي. فهو في النهاية بيتك...

ـ وبيتك أيضاً يا عزيزتي.

ـ ليس لفترة طويلة. لقد قبلت ان أبقى سنة واحدة وليس أكثر.

وبالفعل فعقود العمل كانت قد قدمت لهما ووقعتها مورغانا... شاعرة انها وضعت اسمها على فخ قبلته برضاها. لكن لا يهم.

انها مصلحة والدتها. . .

ـ ربما غيرت رأيك بعد سنة يا ابنتي وبقيت معنا.

ـ لا اعتقد. فلو استطعت الذهاب لرحلت الآن دون تردد.

لكن هل ما تقوله صحيح؟ هل هذا ما تشعر به الآن بعد كل ما حدث؟ ثم ماذا لو قبل لوران ان تترك عملها؟ هل ستذهب الى غير رجعة بدون أمل رؤيته من جديد؟ «أمل»، تساءلت مورغانا. انها ليست الكلمة الصحيحة ربما، فهي تعرف انها لا تنتظر شيئاً من هذا الشاب ثم ان علاقتهما بدأت عاصفة وما تزال، فما الذي تغير الآن. . . ربما الرغبة. هذه الرغبة التي اقتحمتها مثل رياح عاتية فامتلكت مشاعرها وتغلغلت في شرايينها حتى اصبحت اسيرة لها. . .

كان ثوب الجدة معلقاً على المشجب في غرفتها، فنظرت اليه مورغانا وقررت عدم ارتدائه للحفلة التنكرية، فالأفضل ان تلبس ثوب بصّارة وتضع على رأسها قبعة طويلة. فهذا أفضل، ثم انها ستشعر بأنها تملك قدرات عجيبة كبيرة تسمح لها بأن تطلب المستحيل ولو حلماً. . . ذلك المساء تفرجت مورغانا ووالدتها على البوم الصور وعند انتهائهما من آخر صفحة تنهدت الوالدة:

ـ انها صور قيمة جداً. . . وجميلة ولكن للأسف ينقص الكثير منها.

ـ ألم تلاحظي انه لا توجد صورة لمارك؟

ـ حقاً؟ لم ألاحظ ذلك. ولكن ذلك ليس غريباً فربما كان جدك هو الذي سحبها من الالبوم بعد ذلك الخلاف.

ـ لا بد انه كان حقوداً. وبالمناسبة نسيت ان أقول لك اني وجدت حقيبة جلدية بين اغراض جدتي. لكن مفتاحها مفقود. فاذا كنت قد

وجدت مفتاحاً صغيراً بالصدفة وأنت تجمعين الاغراض، فقولي لي اين هو.

ـ لا لم اجد شيئاً، المفتاح الوحيد الذي عثرت عليه كبير ولا يمكن ان يكون مفتاح حقيبة صغيرة. ثم ماذا يمكن ان يكون في داخلها؟

ـ الماس ربما. وهكذا نستعيد هذا البيت. . .

قالت مورغانا ذلك وهي تبتسم ابتسامة شفافة متطلعة الى والدتها.

ـ وكيف نستعيد البيت، طالما أن صاحبه من عائلتنا، ومن الصعب ان يقبل ذلك؟

ـ انتسابه الى العائلة عميق لدرجة انه لم يحتفظ حتى بالأسم!

ـ ذلك شيء طبيعي يا ابنتي. فلوران عاش طفولة مليئة بالخلافات العائلية بين جيل ومارك. فالأول كان يعتقد انه طرد من كنف العائلة وأجبر على ابتداء حياة جديدة صعبة لم يتوفق كثيراً فيها. . . بينما زوجته كانت وارثة غنية ثم لم يلبثا ان افترقا وتزوجت والدة لوران فان كوسين الثري ففضل ابنها حمل اسمه الذي يحمل الطمأنينة ونسيان الماضي التعيس الذي عاشه. . .

ـ طبعاً بدون شك.

قالت مورغانا ذلك وهي تفكر بالطفولة السعيدة التي عاشتها، ولم تكن تتخيل كيف يمكن لطفل ان يعيش عمره الصغير تعيساً، مليئاً بالمشاكل والخلافات. . .

ذلك الليل وضعت مورغانا الحقيبة الجلدية امامها وأخذت تنظر اليها متفحصة. لقد كانت ثقيلة مما يدل على أنها تخفي شيئاً ما. لكن كيف الوصول لفتحها بدون كسر قفلها؟ لكن لماذا هذا التفكير بالماضي؟ ثم اتجهت الى الخزانة لتضع فيها الحقيبة حتى تعود وتنظر

في أمرها فيما بعد. لكن ما ان فتحت الخزانة حتى وقع نظرها على فستان الجدة. فظهرت علامات الانزعاج على وجهها. ماذا يفعل هذا الثوب أمام عينيها؟ لا تريد ان تراه كلما ارادت اخذ شيء من حاجياتها، لذلك امسكت به ورمته في زاوية مهملة. لقد كان عليها ان تتركه في ذلك الصندوق القديم...

قبل يوم من العيد، كانت السماء صافية وغشاء ابيض رقيق يغلف الارض. مورغانا قدمت فطور الصباح لزبائن الفندق واتجهت الى المطبخ حين سمعت صوت رنين الهاتف. فأمسكت السماعة لتفاجأ بايلين على الخط الآخر تطلب منها بكل نشافة ان تتكلم مع لوران.

- انه ليس هنا!

كان جوابها سريعاً لكن تفكيرها كان أسرع، اذ لوران لم يتصل بايلين في «غيابه».

- اذن اين يكون الآن؟ فليس من المعقول ان يكون ما زال في السرير. كان يجب ان يعود منذ يومين.

- اني أجهل مشاريعه.

- اتساءل لو كان كلامك صحيحاً، فلا يبدو عليك التعاون كمستخدمة عند فان كوسين. ثم اراك تخفين اهتماماً به... على كل أنصحك الا تجربي شيئاً خوفاً عليك من خيبة الأمل.

صفعتها صفاقة ايلين. لذلك لم تتمالك نفسها من الردّ:

- لم لا تتحدثين عن اهتمامك انت؟

- معك حق. اما بالنسبة اليك فانصحك بالبقاء حيث انت. ثم لماذا لا تهتمين برويير فهو على ما يبدو مغرم بك. اهتمي به، ذلك أضمن لك.

- شكراً على نصائحك القيمة.

- لا شكر على واجب. ثم قولي للوران ان يتصل بي حين يصل... لو سمحت.

- حاضر. وهل لديك شيء آخر تريدين ان أخبره به؟

- ليس الآن. لكن سأعينك في هذه المهمة اذا طرأ شيء جديد على بالي...

وانتهت هذه المكالمة الجافة بين المرأتين. فوضعت مورغانا سماعة الهاتف بكل نعومة وهدوء ثم وقفت صامتة، كابتة غضبها الكبير فايلين تبدو مليئة الثقة بنفسها... وبلوران. هل عليها ان تصدقها ام تترك مشاعرها تحكم فيما بعد؟

وبخطى متثاقلة توجهت الى المطبخ حيث وضعت أمامها الزا صحن الفطور المليء بالأطايب قائلة:

- ستأكلين كل هذا حتى آخر لقمة. الا ترين كيف أصبحت نحيلة؟

تناولت مورغانا الشوكة بشيء من الاشمئزاز قائلة:

- لست جائعة أبداً.

- ولست سعيدة أيضاً. لكن اياماً جميلة ستأتي يا ابنتي... فلقد قرأت لك في أوراق الشاي هذا الصباح ووجدت خاتم زواج... واضحاً كوضوح الشمس.

ابتسمت مورغانا ساخرة.

- آسفة ان أخيب أملك يا الزا لكنني لا أفكر بالزواج الآن.

- لكن هناك شاباً يفكر بك دائماً. وسيقوم بطلب يدك... أنا متأكدة من ذلك فأوراق الشاي لا تكذب.

- بعض المرات تكذب... أليس كذلك؟

ثم تناولت لقمة وضعتها في فمها غصباً عنها... وفجأة كادت ان

تختنق عندما وقع نظرها على طاولة الكيّ فصرخت مذهولة:

ـ ماذا يفعل هذا الثوب هنا؟

ـ فكرت ان أكويه قليلاً فمن غير المعقول ان تذهبي الى السهرة بفستان غير مكوي.

ـ لكني لن ألبسه...

ـ لماذا يا ابنتي؟ لكنه جميل جداً وستكونين أجمل امرأة حين ترتدينه...

ـ فعلاً. لذلك أفضل ان أضيع بين الناس دون لفت أنظارهم.

ـ لا معنى لكلامك هذا. ستلبسينه وتسحرين به كل الناس خاصة الشاب الذي تفكرين به. مثلما فعلت جدتك من قبلك. ثم لا أحب ان يضيع عملي سدى.

ـ حسناً، حسناً يا الزا... سألبسه. ولكن لا تأملي كثيراً فالرجال كانوا أيام جدتي غير ما هم عليه اليوم...

ـ لا أعتقد... فالحب لم يتغير.

ـ لكن الظروف تغيرت...

سكتت مورغانا مفكرة بالفرق الشاسع بين قصة حب جدتها وقصتها.

أين هي الآن من تلك البساطة التي كانت موجودة في تلك الأيام؟

هذه الافكار لم تتركها حتى آخر لحظة قبيل السهرة حين أنهت زينتها ونزلت الى البهو حيث كان روبير بانتظارها. ابتسم ورفع حاجبيه عندما رآها فقد كانت جميلة... رائعة.

ـ هل لي ان أبدي اعجابي؟

ـ لا... أريد ان افاجئك.

ـ انت تفاجئينني دائماً.

ابتسمت مورغانا بينما مد روبير يده طالباً الذهاب.

ـ هيا فايلين تنتظرنا في السيارة.

عضت الفتاة على شفتيها. ايلين اذن لم تعرف جديداً عن لوران، أليس كذلك؟ سألت روبير فقال:

ـ آه... لقد اتصلت سكرتيرته تعتذر عن تأخره. لكن لحسن الحظ ان جيمي تابلتون في اجازة هذه الأيام وهو الذي يرافق ايلين. انه من أحد اصدقائها القدامى وستسر معه على ما أظن.

لكن يظهر ان ايلين لم تكن مسرورة أبداً... فقد حيّت مورغانا من أطراف شفتيها وبقيت صامتة طوال الطريق.

عائلة تابلتون تسكن بيتاً كبيراً بعيداً عن الطريق العام. وقد وضعت أضواء خافتة مع أقنعة عديدة على أطراف الطريق الصغيرة التي توصل اليه. وعلى الباب كانت لوسي تابلتون تستقبل المدعوين بقامتها الطويلة الجميلة. فرحبت بشغف كبير بروبير وشقيقته بينما اكتفت بالردّ على مورغانا بابتسامة عادية. والتفتت الى ايلين قائلة:

ـ عزيزتي، حظك تعيس فعلاً. لكن لا بأس فهذا من حسن حظ جيمي... كم أنا سعيدة برؤيتك. مضى زمن طويل...

فتذكرت مورغانا ان روبير قبل ان يتعرف عليها كان يتردد كثيراً على لوسي.

في هذا الوقت اتجهت ايلين لتضع معطفها في الغرفة التي حولتها المضيفة الى مشجب كبير، ولم تلبث مورغانا ان دخلت لتضع معطفها وتخرج بسرعة لكن ايلين استوقفتها قائلة:

ـ انك فرحة على ما أظن. أليس كذلك؟

ـ ليس بالضرورة. ثم أنك لا تصدقينني لو قلت لك ذلك. لكنني آسفة فعلاً ان لوران لم يأت لمرافقتك.

خرجت من فم ايلين ضحكة عالية طعمها مرّ كالعلقم.

- شكراً على عاطفتك القيمة. أنها غير مجدية... ثم لو ان لوران اتى الآن لعرف تماماً انني لا ولن أضيع وقتي في انتظاره.

ثم خرجت وهي تصفق الباب بقوة. فتنهدت مورغانا مرتاحة، متذكرة انها لاحظت ان ايلين غير متنكرة في هذه الحفلة مما زادها حنقاً على نفسها لارتدائها هذا الفستان القديم. انه فعلاً قديم... من عصر آخر مضى الى غير رجعة.

صوت روبير يقطع تفكيرها:

- انت رائعة حقاً هذه الليلة.

- لا تعجب كثيراً فبعد منتصف الليل لا يعود هناك سحر وجاذبية. فهيا الآن ننتهز الفرصة فنشارك في العيد.

كل شيء كان مدروساً ومحضراً لهذه الحفلة الكبيرة، فالقاعة الواسعة كانت مفرغة من اثاثها لتتسع لكل المدعوين ورقصاتهم. كما ان طاولة مليئة بكل الأطايب كانت في متناول أيدي الضيوف.

وكما كان منتظراً، فغالبية الفتيات كن متنكرات بينما روبير وباقي الشبان يتنكرون بألبسة مختلفة، متنافرة... ولحظة دخولها الى الصالة همس الشاب في اذن مورغانا:

- مورغانا، تعرفين مشاعري بالنسبة اليك، أليس كذلك؟

- أوه روبير، ليس هذا هو الوقت ولا المكان المناسبين لهذا الحديث.

- لا أطلب منك جواباً فورياً، انني استطيع الانتظار، ثم انت لا تقبلين العمل طوال حياتك مع فان كوسين، أليس كذلك؟

- الى حد ما نعم... وأنت تعرض البديل.

- أبداً، اني اذهب أبعد من ذلك بكثير، فأنا أريد ان

اتزوجك...

ثم توقف للحظة ملتفتاً حواليه:

- بحق السماء، أليس هناك من مكان هادىء نذهب اليه؟

- روبير، لا تكن عبثياً اني أكاد لا أتعرف عليك.

- وأنا أيضاً يا مورغانا. تعرفين انني أحبك لكنك تبدين جميلة جداً هذا المساء.

شعرت مورغانا بالضيق والحيرة، فهي لا تعرف ماذا ستفعل لكن الحظ شاء مساعدتها اذ رأت ايلين وجيمي ووراءهما لوسي وأحد الاشخاص يبدو على وجهه الفرح والسرور يتقدمون جميعهم باتجاهها...

- حسناً أيها المبتعدان عن الناس... ربما هذه هي خطة روبير لابعاد المعجبين عنك يا مورغانا، لأنك والحقيقة تقال رائعة الجمال هذه الليلة.

كان جيمي يقول جملته بينما مورغانا تراقب نظرات ايلين المتضايقة والحسودة. ثم توجهت اليها لوسي بالحديث:

- أين وجدت هذا الفستان؟ ليس في بولزيون على ما أظن؟

وبالرغم منها وجدت مورغانا نفسها تروي قصة هذا الفستان ودوره في حياة جدتها. وما ان انتهت حتى علقت لوسي:

- انها قصة رومنطيقية فعلاً.

فردّت ايلين:

- لا أجد شيئاً من الرومنطيقية في هذه القصة. كل ما في الأمر ان مورغانا فقيرة لا تملك ثمن فستان من أجل المجيء الى السهرة.

وقع هذا الكلام وقع الصاعقة على الجميع. فتملكهم صمت مفاجىء لم يقطعه سوى تقدم روبير والغضب باد على وجهه باتجاه

أخته. فمنعته مورغانا بحركة صغيرة من يدها:

- اتركها يا روبير. لا فائدة. أريد ان أعود الى بيتي الآن.

وبالرغم من معارضة الجميع الا انها أصرّت على موقفها. فأخذها روبير في السيارة حيث بقي الصمت مخيماً الى ان قطعه روبير قائلاً:

- اني لا أفهم موقف شقيقتي. سأستفهم منها غداً.

- لا لزوم لذلك. فهي لا تستلطفني هذه الأيام وربما تزيد اسئلتك الطين بلة.

- لكنكما لا تعرفان بعضكما جيداً.

- أرجوك لا لزوم لذلك.

- لكنني لا أريد أن أرى شقيقتي والمرأة التي أحب في مثل هذا الوضع. وأتمنى ان تتغير عندما تصبحين زوجتي. أعتقد ذلك...

- روبير أرجوك، لم أوافق بعد على الزواج.

- لديك كل الوقت.

غرقت مورغانا في مقعد السيارة الى ان وصلا الى البيت فنزلت مسرعة بعد ان اعتذرت عن دعوته الى الداخل بدافع التعب.

انتظرت قليلاً حتى ابتعد بسيارته عن نظرها ثم دخلت الى البيت. وعبرت البهو الكبير ناظرة الى غرفة الجلوس لترى اذا ما كانت والدتها ما تزال صاحية... لكن العتمة كانت تلف كل شيء وليس في المدفأة غير بقايا حطب محروق ما زال احراره يشع بخفوت.

صعدت الفتاة الى غرفتها واقفلت الباب بينما تحس بقلبها ثقيلاً متعباً، ثم التفتت لتفاجأ بشمعتين مطفأتين وتفاحة على طاولة الزينة.

- انها الزا.

قالت لنفسها وهي بين الضحك والبكاء. فقد كانت صغيرة

عندما اخبرتها الزا لأول مرة عن معنى هذا التاريخ من السنة والمعتقدات التي تدور حوله. وما تزال تذكر الأسطورة التي تقول ان الفتاة التي تسرح شعرها عشية هذا العيد على ضوء شمعتين وهي تأكل تفاحة سترى في المرآة صورة الرجل الذي ستتزوجه.

«ويمكن أيضاً ألا تأكلي التفاحة بل تضعيها تحت المخدة».

كان هذا الكلام يعود الى ذاكرتها وهي تستعرض كم مرة وهي يافعة جربت ذلك ولم تر في المرآة غير صورتها. وكانت التفاحة تحت المخدة تمنعها من النوم الهادىء. كانت قد نسيت هذه التصرفات، فلماذا تريد الزا استعادتها هذه السنة؟ ربما قرأت في الفنجان عرض روبير بالزواج...

كانت التفاحة شهية المنظر فأحست بالجوع. لماذا لا تذهب الى المطبخ لتحضير سندويش؟ لكنها وقبل ان تتحرك من مكانها امسكت بعلبة الثقاب واشعلت عوداً قربته من الشمعتين فأضاء بنور غريب شع في الغرفة، وترك على جدرانها خيالات تتراقص وكأنها لكائنات حيية، ثم اخذت فرشاتها وبدأت بتسريح شعرها بكل رفق ونعومة بينما تناولت باليد الاخرى التفاحة وبدأت بقضمها... وفجأة أعادتها هذه الحركات الى أيام طفولتها ومراهقتها حيث كانت الهموم أقل وكان الفرح سيد المشاعر والأحاسيس... كانت التفاحة شهية فقضمت مرة أخرى وأغمضت عينيها متلذذة بطعمها الطيب، وعندما فتحت عينيها سقطت التفاحة من يدها وتوقف فمها عن الحركة وتجمدت يداها بدون حراك فوجه لوران كان في المرآة.

٩ - القرار

ارادت مورغانا الصراخ بأعلى صوتها لكن حنجرتها خانتها، لم تصدق عينيها. . . كانت تريد الوقوف والهرب في اي اتجاه، فليس صحيحاً ما تراه. لا بد انها تحلم. فتحت عينيها تريد الخروج من هذا المكان، لكن يدين قويتين امسكتا بكتفيها بكل هدوء وادارتا جسمها نصف دورة. . .

- لا تخافي، لست شبحاً اخرجته ألاعيبك الطائشة. . .

انه لوران بلحمه ودمه! لم تدر ماذا تقول بصوتها الخافت المرتعش.

- ماذا تفعل هنا؟

- اخاف ان اكرر دائماً نفس الشيء. . . انا هنا في بيتي.

- لكن احداً لا يعرف اين انت، ولم نكن نتوقع حضورك هذه الليلة.

ابتسم الشاب ابتسامة فيها من الذكاء ما يوحي كذلك بالخبث المحبب.

- أفهم من كلامك انك افتقدتني؟

- ابداً. . . انا لا يهمني ماذا تفعل وأين تذهب، لكن ايلين دونليفين بدا عليها القلق هذه الليلة.

- وما دخلها الآن في حوارنا؟

- كانت ليلة الحفلة اليوم! انسيت ان عليك مرافقتها الى هناك؟

- لا اتذكر انني وعدتها بشيء، فمشاريعي لم تكن تسمح لي بأي وعد اقطعه على نفسي. ويبدو ان ايلين الجميلة تمزج بين رغبتها والواقع، ربما لأنها جميلة؟

- على كل حال كانت منزعجة جداً.

لكنها تساءلت لماذا تدافع عن مشاريع ايلين؟

قطع لوران تفكيرها:

- آه، كانت منزعجة فعلاً؟ هذا لا يشبه طبعها ابداً. على كل اظن انها وجدت مرافقاً غيري. هل انا مخطىء؟

- لا لست مخطئاً.

كانت كتفا مورغانا ما تزالان بين يدي لوران، وعندما تحركت تريد الوقوف تركها الشاب قائلاً:

- انا آسف اذا كنت قد اخفتك. كان عليك ان تسمعي صوت الباب حين دخولي، لكنك كنت مأخوذة بتخيلاتك، فأي لعنة كنت تصبينها عليّ هذه الليلة؟

- لا شيء ابداً.

- حقاً. . .

ثم انحنى وتناول التفاحة التي كانت قد وقعت على الأرض:

- اكملي اذن عشاءك.
- لم اعد جائعة. على كل حال هذه التحضيرات كانت من عمل الزا.
- لكنها ليست مزاحاً غبياً، والا لما كنت بقيت في العتمة. على كل حال لقد اخفتني قليلاً.
- حقاً؟ لا ادري كيف؟
- لأنني كنت في الغرفة منذ خمس دقائق فسمعت حركة في البيت وما ان التفت حتى وجدت جدتك امامي فاعتقدت انها خرجت من اطار اللوحة. فمن اين حصلت على هذا الثوب؟
- لقد كان في احد الصناديق، وقررت ارتداءه للحفلة التنكرية.
- انك رائعة الجمال في هذا الثوب، لقد ظننتك مورغانا الخرافية.
- آه فعلاً. . . مثل اميرة العصور الوسطى. عظيم! اشكرك على هذا المديح لكنني اريد النوم فلو تفضلت الآن بالخروج رجاء.
- انا ايضاً اريد النوم.

امسكها بين ذراعيه يحاول ان يقربها نحوه، لكنها اغمضت عينيها رافضة. لا تريد رؤيته بقربها وفي الوقت ذاته ترى تلك الدوافع التي تجعل من اقترابه منها امنية تتمناها، لا بل تحلم بها كل ليلة. واخيراً استطاعت ان تبعده لكنه كان ما زال قريباً منها ليهمس في اذنها:

- انك في مخيلتي كل الوقت. لم استطع النوم وانا افكر بك.
- لوران ارجوك اتركني.

ولكن لوران استمر في عناده بلطف ونعومة. كانت نظراته تشعرها انها غير قادرة على اخفاء مشاعرها نحوه. فقد استطاع ان

يثير احاسيسها ومشاعرها. انه يملك القدرة على استنباط رغبتها، لكن هل يحبها فعلاً؟ انها غير مطمئنة له ولا لاحاسيسها. وفجأة نظر الاثنان الى بعضهما فصوت جرس الباب كان يرن بقوة ويرسل صداه في الليل. فوقفت مورغانا وعلامات الخوف على وجهها بينما طمأنها لوران قائلاً:

- سأنزل لأرى من الطارق.

لكن مورغانا اوقفته بيدها وخرجت تقف في اعلى السلالم، فترى اضواء البيت قد انيرت والزا تتجه مسرعة الى الباب تفتحه لتدخل ايلين دونليفين، مرعوبة صارخة:

- النجدة النجدة! اريد الاتصال بالمستشفى فجيمي وقع له حادث بالسيارة بالقرب من هنا، حالته خطيرة. . .

نزلت مورغانا السلالم الى البهو بسرعة وسألتها:

- ماذا حصل بالضبط؟
- ليس بعيداً عن هنا. . . لم يستطع جيمي السيطرة على السيارة فوقع في حفرة كبيرة. انه مجروح في رأسه. يجب ان اتصل بالطبيب او بالمستشفى.
- سأهتم بذلك!

وانطلقت مورغانا نحو الهاتف بينما قادت الزا ايلين الى الصالون وذهبت لتحضر لها الشاي. لكن ايلين لم تعد تلتفت لأحد عندما رأت لوران ينزل السلالم بهدوء. فركضت نحوه ترمي بين ذراعيه باكية.

- لا تخافي، سنهتم بالموضوع. . . تعالي الى غرفة الانتظار وارتاحي قليلاً بانتظار الشاي. اما انا فسأذهب لابقى بجانب جيمي حتى تصل سيارة الاسعاف.

وما ان انتهت مورغانا من اتصالاتها الهاتفية حتى توجهت الى المطبخ لتتأكد من ان الزا تحضر الشاي. ثم دخلت الى الغرفة فوجدت ايلين مستلقية على المقعد الكبير وما ان رأتها داخلة حتى سألتها بقساوة:

- اين لوران... الم يرجع بعد؟
- لا، وأظنه سيبقى بقرب جيمي حتى يأخذوه الى المستشفى.
- اني بحاجة اليه. لقد اصبت بصدمة كبيرة.

ثم تناولت جرعة من الشاي الذي كان قد وصل.

- انه حلو!
- أفضل كذلك، فسيساعدك على تهدئة اعصابك.

ثم سألتها مورغانا بهدوء كيف وقع الحادث...

- كان عليه الا يقود السيارة، فقد نعس كثيراً وكان تعباً... آه لو ان روبير بقي معنا لما حدث ما حدث.
- هل تلمحين الى انني السبب في الحادث؟
- ليس بالضرورة، ولكن لم تكوني مجبرة على الهرب كما فعلت...

ارادت مورغانا الرد عليها بقسوة لكن دخول لوران منعها.

- والد جيمي ذهب معه الى المستشفى. ولا خطر عليه فهو جرح بسيط سيشفى منه بسرعة. الأفضل ان تقضي ليلتك هنا... مورغانا ستحضر لك غرفة.
- على الفور.

ثم قامت وايلين تنظر اليها بغرابة ودهشة.

وصلت الى غرفتها واستبدلت الفستان ببنطلون جينز وكنزة خفيفة، فهي كذلك تشعر بالراحة والثقة اكثر. ففي داخلها كانت مضطربة لوجود ايلين في بيتها بعد الذي حصل هذه الليلة. ثم اي

غرفة في بولزيون توازي غرفة نومها الفخمة... لكنها ستفعل ما في وسعها لكي تعطيها غرفة لائقة ونظيفة. اخرجت الأغطية الجديدة وحضرت السرير باعتناء زائد، وعندما همّت بالخروج كان لوران يقف على عتبة الباب فسألته:

- هل جئت تتأكد من تحضير الغرفة؟
- هذا ليس مهماً، فبيننا نحن الاثنين عمل لم ننته منه بعد!
- اعتقد انك مخطىء، فعملي محصور بالاهتمام بالفندق وليس بصاحبه.
- ومن قال لك ان تهتمي بصاحب الفندق؟
- ليس لدينا ما نقوله، فأرجوك ابتعد عن طريقي.
- آه منك! متى ستنتهين من هذه الألعاب الصبيانية؟
- سمها ما شئت. لكن اذا لم تبتعد سأصرخ بأعلى صوتي واوقظ كل نزلاء الفندق.
- لكني بحاجة ان اقول لك اشياء كثيرة.
- لا شيء يجبرني على سماعها.
- ولماذا انت غاضبة؟ الأن ايلين ستنام هنا؟
- وما همني من ذلك؟ ان خيالك واسع حقاً...

احست مورغانا ان صوتها يرتفع فحاولت السيطرة على اعصابها. اسرعت متجهة الى غرفتها، تجلس على سريرها تاركة نظرها سارحاً في خواء الغرفة... فهي للمرة الأولى تشعر ان مجيء ايلين كان رحمة لها، وقد منعها من السقوط في الهاوية، فهو رجل لا يبحث الا عن متعة عابرة، يعود بعدها الى اعماله واشغاله وينساها بينما هي ستغرق كل حياتها في الندم والأسف على ما قامت به...

كانت تود البكاء لكنها منعت نفسها، فقبل ان تنام يجب ان تضع

الستار الحديدي امام المدفأة المشتعلة وتعيد صينية الشاي الى المطبخ.
واثناء مرورها في الممر لمحت ايلين واقفة على باب غرفتها ولوران امامها تبتسم له ثم تمسكه من يده وتدخله الى غرفتها وتغلق الباب.
رفعت مورغانا يدها تكم فمها ثم لم تلبث ان هربت الى غرفتها فالوقت متأخر والتعب قد اخذ منها مأخذه. . .

في الصباح نزلت متأخرة لتناول الفطور فجلست بالقرب من والدتها معتذرة عن تأخرها.

- هذا طبيعي يا ابنتي فبعد الليلة المتعبة. . . آه، لقد سمعت كل شيء فالضجيج كان عالياً، حتى ان الآنسة ميكنز شكت لي هذا الصباح انها لم تغمض جفناً طوال الليل. انك تعبة يا ابنتي فلم لا تعودين الى النوم؟

- لا، لا لزوم لذلك. . . وكيف حال ضيفتنا هذا الصباح؟

- انها تتناول فطورها في الغرفة.

نظرت مورغانا الى والدتها ولم تشأ السؤال عن لوران. انها لا تريد التفكير به ولا بما فعله ليلة البارحة. فليفعل ما يشاء مع ايلين، انها حياته الخاصة. ثم رفعت رأسها وكأن فكرة طرأت عليها:

- اذا لم تكوني بحاجة الي فسأذهب الى المزرعة.

ثم وقفت بسرعة واتجهت الى الباب. في المزرعة كان روبير يخرج من الحظائر عندما رآها فترك ما في يده وركض لاستقبالها:

- فاجأتني حقاً. . . فلم اكن انتظرك هذا الصباح.

تصنعت مورغانا الابتسام ثم وضعت يديها في جيوب ردائها:

- روبير، هل كنت جاداً في ما قلته البارحة؟

نظر اليها بتمعن متفحصاً وجهها الجميل وتعابيره.

- بالطبع يا مورغانا، بالطبع.

- حسناً اذن، ان جوابي هو الموافقة على الزواج منك، ولكن ليس الآن. فأنت تعرف ان والدي لم يمض على وفاته وقت طويل. . .

- طبعاً، طبعاً.

حاول روبير ان يجد ما يقوله لكن وقع المفاجأة كان اقوى فلم يتمالك نفسه.

- لن تندمي ابداً على هذا القرار، اعدك. . .

ثم اخذها بين ذراعيه فاغمضت عينيها مفكرة. . كيف فعلت هذا؟ ولماذا؟

انه الخوف والهرب من حقيقة مشاعرها. وعندما ابتعد روبير ابتسمت قدر ما طاوعتها شفتاها:

- يجب ان اعود الى الفندق فلدي ألف غرض أقضيه.

- سامر لآخذك هذا المساء فنحتفل بهذا القرار. موافقة؟

- موافقة.

ثم انطلقت مسرعة باتجاه البيت وافكارها تتساءل عن جدوى ما فعلت. ثم ما ذنب روبير كي يكون ضحية هربها وخوفها وجبنها؟ انها تستخدمه كدرع في مواجهة لوران، انها تحب لوران. تشعر بذلك، لا بل هي متأكدة انها مغرمة به، فلم تفعل ذلك اذن؟

دخلت الى البيت بدون حس او صوت، حتى لا تلتقي احداً، فعاجلاً ام آجلاً ستخبر الجميع بهذا النبأ، لكن عليها الآن ان تعود على ما قررته. فحتى بالنسبة اليها ما يزال هذا القرار غريباً.

لسوء حظها كان لوران في اعلى سلالم الطابق الأول.

- هل لديك نية في الكلام هذا الصباح؟

- هذا يتعلق بالموضوع.

- الموضوع؟ انا وانت، الا يكفي؟

ـ تتحدث وكأن بيننا علاقة عاطفية.

ـ او تظنين العكس؟

لم يكن لوران يعرف انها رأته البارحة يدخل الى غرفة ايلين. اما هي فتنفست عميقاً واشاحت بنظرها عنه قائلة:

ـ عظيم اذن، فلتكن اول العارفين... انني مخطوبة الآن.

صرخ لوران مقطباً حاجبيه:

ـ غير صحيح!

ـ بل صحيح... فروبير طلب يدي البارحة مساء وانا وافقت منذ نصف ساعة.

ـ انك امرأة لا تعرف المشاعر، فالبارحة كنت بين ذراعي واليوم تريدين الزواج من رجل آخر.

لم تتمالك مورغانا اعصابها... انها احرى بالرد بمثل هذا الكلام. لكن لسانها لم يطاوعها فانطلقت يدها بصفعة قوية على وجه الشاب.

ـ بلغي تحياتي لروبير دونليفين ايتها الشقية الخبيثة، فعلى ما اظن انه بحاجة لأمثالك.

واستدار خارجاً.

١٠- الصور المحفورة بالنار

ـ مع روبير؟

بكل هذه الدهشة والاستغراب اجابت السيدة بيتريث على الخبر الذي جاءت ابنتها لتعلمها به... بينما كانت مورغانا تبدد قلقها واضطرابها بابتسامة متصنعة.

ـ يا أمي، انت تعرفين اننا نخرج سوياً منذ مدة.

ـ اعرف، اعرف لكني لم أظن يوماً انك جادة في علاقتك معه.

ـ طبعاً انا جادة. ثم ان المشاعر هي الأساس والأصل.

ـ وهل أخبر أهله بذلك؟

ـ سيخبرهم هذه الليلة على ما أظن. لكن لماذا تسألين؟ أتعتقدين انهم سيرفضون؟

- لن أخاطر بالجزم، لكنك تعرفينهم جيداً فهم لن يستقبلوك بأذرع مفتوحة.

التزمت مورغانا الصمت للحظات ثم استدركت:

- انني أتزوج روبير لا عائلته.
- طبعاً، بدون شك يا ابنتي. لكنك كنت تعبة جداً هذه الأيام ومضطربة فأرجوك ألا تتخذي قراراً تندمين عليه في المستقبل.
- لن أندم على شيء.

ردة فعل الزا لم تكن أقل شكاً من الوالدة:

- يا الهي لا بد انك فقدت عقلك!
- الزا عزيزتي... ألم تكوني تريدين دائماً سعادتي وهنائي. ألم تري رجلا اشقر الشعر يتزوجني في مطالعتك للورق؟
- نعم لكن ليس روبير، وأنت تعرفين من يا ابنتي فلا تكذبي على نفسك.
- لا، انه هو ولا احد غيره.

ثم استدارت خارجة. ان الاستجابات التي ملأت سمعها حتى الآن تجعلها تفكر كيف ستتلقى عائلة روبير هذا النبأ. ستكون ردة فعلها باردة مغلفة بالتهذيب.

روبير كان ايضا مهذباً تلك الليلة حين ذهبا للعشاء في احد المطاعم الشهيرة في المدينة الصغيرة. وأصر على طلب أغلى وأفضل المآكل لكن كثيراً من الصمت لحق تلك السهرة التي خيم عليها الاضطراب، خاصة من جهة مورغانا.

هذا ما كانت تفكر به في طريق العودة وحين وصولها الى البيت توجه اليها روبير قائلا:

- لقد غيرت فكري، سنتزوج في أسرع وقت ممكن.

- روبير، لكنك وعدت بأن تترك لي الوقت الكافي للتحضير، فحتى الخطوبة لم أتعود عليها بعد.
- حسناً سأحاول الانتظار.

دخلت الفتاة الى البيت بأقل ضجيج ممكن، وعند مرورها امام غرفة الجلوس سمعت حديثاً هادئاً فقد كانت والدتها تتجاذب أطراف الحديث مع الماجور لاوسون فلم تحب ازعاجهما... لكن عند أول السلالم كان لوران واقفاً يعترض طريقها قائلا وهو يتفحصها بنظراته:

- هل أمضيت سهرة طيبة؟ يبدو من هدوئك ان خطيبك عاقل جداً.
- نعم فهو عكسك تماماً، لا يمزج بين الحب الحقيقي والرغبة العابرة. روبير ليس حيواناً.
- في هذه الحالة يجب ان يفكر مرتين قبل ان يقرن حياته بهرة متوحشة مثلك.

ثم اقترب منها يحاول امساكها بكتفيها لكنها صرخت:

- دعني، لا تقترب مني...
- لن أمسك أبداً... ولكن هل حددتما على الأقل موعد الزواج؟
- ليس بعد، لكننا سنتزوج في اقرب وقت ممكن.
- حقاً، كنت أظن ان خطيبك من محبي الصبر والانتظار.
- لا أسمح لك ان تتكلم عنه هكذا.
- آه فعلا، اعتقد ان الانتظار لمدة سنة طويل جداً. حتى بالنسبة لانسان يسيطر على أحاسيسه الدنيا كما نسميها.
- ومن قال اننا سننتظر سنة كاملة؟

نظر اليها لوران بامعان مركزاً على عينيها:

- بسبب العقد. . .

فوجئت مورغانا بهذه الصفاقة لكنها لم تتركه يلمح شيئاً كان يغلي في داخلها:

- اعتقد انك لا تستطيع اجباري على احترام هذا العقد.
- استطيع ان أجبرك، تأكدي انني واثق مما أقوله.
- وما يهمني؟ روبير لن يمانع في ان أعمل، انها العادة في ايامنا هذه. . .
- هذا اذا استطعت الزواج.
- انه مزاح ثقيل. . . فلا حق لك بذلك طالما أقوم بعملي على اكمل وجه. ثم كيف يمكن ان تمنعني من الزواج؟ هذا مستحيل!
- لا شيء مستحيل، استطيع ان أذهب الى روبير وأخبره كيف تقضين سهراتك.
- لن يصدقك.
- استطيع ان أعطيه صورة عنك قابلة للتصديق وستنفره منك حتماً.
- انك انسان حقير.
- لقد قلت ذلك سابقاً. وتذكري شيئاً واحداً. . . انني لا أحب الخسارة فحسب لا بل احب الربح والانتصار، وتأكدي انني لن أسمح لك بالزواج طالما تعملين تحت امرتي.
- انك. . .

وارادت ان تصفه بأبشع النعوت لكنه أدار وجهه متمنياً لها ليلة هانئة وسعيدة.

جلست مورغانا مركزة نظرها على النجمة الفضية اللماعة في أعلى شجرة الميلاد بعد ان أنهت تزيين الشجرة، ففي العادة كانت تشعر

بسعادة كبيرة عند تحضيرها للعيد، لكنها اليوم تعيسة تشعر بانقباض قلبها وخلوّ نفسها من الفرح.

منذ ستة أسابيع والبيت مليء بالعمال والمهندسين الذين ركّبوا التدفئة المركزية وغيروا تمديدات الكهرباء وهم على وشك الانتهاء من تغيير الطابق العلوي. آه انها سلطة المال. . . هكذا كانت تقول والدتها وبالفعل ها هي تعتقد الآن ان للمال سلطة لم تكن تعرفها. فبالرغم من حقدها على لوران الا انها ترى اليوم كيف أصبح النزل بيتاً كبيراً، لا بل قصراً جميلا لم تكن تحلم منذ أشهر قليلة ان تراه كذلك.

ثم انها لا تستطيع الا ان ترى فرحة أمها بهذا التغيير، وتتصور كم ستكون سعيدة عندما ينتهي العمل من الشقة في الطابق العلوي. هي نفسها تنتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر، فحينها ستصبح معزولة عن باقي أهل البيت.

هذه الأسابيع المنصرمة لم تترك لها وقتاً تتفرغ فيه لنفسها. فالعمال اقتحموا حياتها وروبير كان يمر عليها كل ليلة بالرغم من محاولتها اقناعه بالعكس. وفي النهاية لم تكن كل هذه الأحداث الا مصدراً دائماً لاضطرابها وازعاجها.

كانت الآنسة ميكنتر قد رحلت من النزل، فهي لم تعد تطيق الضجيج الدائم والتنقل المستمر من غرفة الى اخرى بسبب التصليحات، مورغانا، والحقيقة تقال، لم تأنف ابداً من رحيل الآنسة التي كانت تعتبرها دائماً مزعجة وكثيرة الكلام، بينما المأجور لارسون بقي في النزل متحملا كل الضجيج ولم يبد أي تذمر او انزعاج. ربما كانت لديه أسبابه الخاصة التي تدفعه للبقاء هنا. خاصة ان التحادث الدائم مع والدتها اصبح عادة يومية وأصبحا يتناديان

بالاسم الصغير بعد رفع الكلفة بينهما. . . «واليزابيت» كانت مسرورة بكل ما يحصل وعيناها تشعان كفتاة شابة، بينما تتجنب مورغانا التلميح الى هذا التغيير عند والدتها.

اما هي فكانت تعض شفتيها ندماً فحياتها لم تعد تطاق منذ شجارها مع لوران. وأخذ يعاملها كمستخدمة عنده مع كل الاحترام والمسافة المفترضة بينهما. «هذا ما أردته». . . كانت تردد ذلك على نفسها وتبتسم ابتسامة مرّة وساخرة.

لوران أصبح يقيم في البولزيون على فترات متقطعة، فأحياناً يبقى فترة طويلة وأحياناً يغيب لاسبوع او اسبوعين ثم يعود بغتة ودائماً برفقة مساعديه وبعض مستشاريه، فتمتلىء صالة الطعام بهم. . . حياة شاقة وصعبة لم تتعود عليها حتى الآن.

في العمل كان متصلباً لا يقبل عذراً عن أي تلكؤ، ولم تكن تريد ابداً ان تحظى بمعاملة مختلفة. وكانت تلاحظ انه يعامل سكرتيراته اللواتي يأتين احياناً برفقته بالطريقة نفسها لا بل أقسى ربما، كان المساء رحمة لها لأن التعب يكون قد استملك كل حواسها فلا تعود تملك قدرة الا على النوم.

احياناً، كي تقتل الوقت، كانت تذهب الى المزرعة لرؤية روبير الذي كان هو ايضا متعباً ومرهقاً من العمل المتزايد الملقى على عاتقه. فابلين لم تعد تهتم كثيراً، فاهتمامها الكبير ينصب على لوران الذي تريده زوجاً مهما كان الثمن. اما مورغانا فقد تغيرت نحوها كثيراً وأصبحت تلاطفها لا بل تداريها والفضل يعود الى روبير الذي كان مصراً على انهاء الخلاف بين المرأتين. فهو سيتزوج مورغانا وأخته من المحتمل جداً ان تقترن بابن عم زوجته، لذلك قام بكل ما في وسعه للتقريب بينهما، حتى انه كان يسعى مرات عديدة للقيام

بنزهة رباعية لكن مورغانا كانت ترفض. . . كما رفضت كذلك خاتم الخطبة الذي حاول خطيبها المستحيل لالباسها اياه. لكنها كانت تعرف الآن اكثر من أي وقت مضى انها لن تتزوجه ولو حصل ذلك لجلبت اليه تعاسة العالم كلها، فما العمل؟ يجب ان تقول له الحقيقة. . . ان تصارحه بحقيقة مشاعرها نحوه. ستكون صدمة كبيرة، فكيف اذا لو اكملت وصارحته بعواطفها نحو لوران. . . انها تعيسة تستحق الشفقة. كانت تردد على نفسها هذا الكلام وأحياناً تنتفض على مشاعر الشفقة هذه، وتترك الأمور الى حين حصولها.

ولماذا لا تهتم الآن بنفسها، فالغرفة الجديدة انتهت من التصليح وستنقل كل أغراضها اليها. وبالفعل اخذت تحمل كتبها وثيابها صاعدة نازلة على الدرج الداخلي. وبينما كانت تحمل مجموعة من الملفات والأوراق عند مدخل الغرفة فاجأها لوران:

ـ على حد علمي ان الأثاث يجب ان ينقل اولا؟

ولم تستطع ان تقول له انها تشغل نفسها بأي شيء حتى لا تفكر به فردّت:

ـ العيد قريب، وعليّ ان انتهي من هذه الأعمال الصغيرة.

ورآها الشاب لا تعرف كيف تنزل كتبها وأوراقها فمد يده يساعدها، فتراجعت بسرعة وأوقعت ما تحمله على الأرض:

ـ لماذا تتراجعين هكذا؟ انا لست وباء معدياً!

ثم انحنى يريد مساعدتها في لمّ الكتب، لكن ملامح وجهه تغيرت فجأة:

ـ بحق السماء، من أين لك هذا؟

تعجبت مورغانا من هذا السؤال واتجهت بنظرها نحو ما يتطلع اليه:

- آه، لست أدري، وجدتها في صندوق الجدة ولم استطع فتحها، فالمفتاح مفقود.

- كنت تستطيعين خلعها، فشفرة السكين كافية لذلك.

- بالفعل، لكني لم أهتم كفاية بهذا الموضوع.

- كنت اظنك مهتمة بحياة جدتك ومغامراتها. . .

- ليس الى حد فضح اسرارها!

- اعتقد انك أخطأت.

رفعت مورغانا حاجبيها تعجباً:

- تتكلم كأنك تعرف ماذا يوجد في هذه الحقيبة.

- اعتقد ذلك، فهي بكل تأكيد تحتوي على رسائل غرامية.

- من جدي. . . تريد ان تقول؟

- لا، من جدي أنا.

خيم السكوت لحظة ثم انفجرت مورغانا غاضبة:

- كيف تجرؤ على هذا؟ تريد ان تقول ان جدتي. . . جدتي انا كانت مغرمة بجدك مارك بينتريث؟

- ربما لم تصل الأشياء الى هذا الحد. أقول بكل بساطة انهما احبا بعضهما وبقيا يتبادلان الرسائل حتى موتها. انا لا أتنبأ بشيء، فجدي كانت لديه حقيبة مماثلة مليئة برسائل جدتك.

- لقد قلت لي مرة ان جدينا تشاجرا من اجل امرأة ولكن لم تقل لي انها جدتي. . .

- بالفعل. . . انها هي نفسها. فجدي التقاها أولا وأحبا بعضهما ثم سافر الى الولايات المتحدة ليكسب بعض المال ويعود اليها بعد ان تواعدا على الزواج. لكن جدك عاد والتقاها في تلك المسرحية الشهيرة وأحبها ثم أقنعها بالزواج بعد ان كذب عليها بأن جدي لن

يعود من السفر أبداً.

- وكيف عرفت الحقيقة؟

- بعد مدة طويلة، عاد مارك وكانت قد تزوجت، فطلب منها الهرب معه، وقبلت بالأمر. . .

- لكنها لم تهرب!

- طبعاً فجدك رفض الطلاق أولا، ثم هددها بالقتل لو فعلت ذلك وانه سيلحق بها الى آخر الدنيا ولن يتركها في أمان طالما فيه نبض من حياة.

- جدي لا يمكن ان يفكر هكذا. . .

- حقاً، هل عرفته انت حق المعرفة لكي تقولي هذا الكلام؟

- نعم عرفته، وحتى لو فعل ذلك فلأجل كرامته وشرفه ايضا.

ثم ادارت مورغانا وجهها تستعرض الحادثة القديمة بعيون جديدة. جدها كان ضائعاً بين رغبته في الثأر واحساسه بالذنب وهي اليوم تضيع بين اليأس والخوف. .

- وجدتك. . . زوجة مارك من كانت اذن؟

- لقد ماتت باكراً، لكنهما لم يكونا سعيدين في حياتهما، فمارك كان يشعر دائماً انه غريب في الولايات المتحدة وكان يشكو ذلك دائماً لوالدي طيلة حياته، حتى شعر جيل انه ايضا غريب هناك ويريد العودة. اما والدتي فقد كانت مخطوبة قبل زواجها من والدي الى فان كوسين اذ كانت عائلتاهما تريدان ذلك، لكنها رفضت وتزوجت والدي، وبعد وفاته عادت واكتشفت انها فعلاً تحب ارنولد فان كوسين الذي طلب مني ان اقبل اسم عائلته فقبلت، فاسم بينتريث لم يقترن في ذهني الا بالمآسي والتعاسة.

- كان شيئاً محزناً الا يتمكن مارك من العودة الى بولزيون.

- لقد تعذب كثيراً، فقد كان الفندق مقترناً في ذهنه بفقد حبيبته وبقي طوال حياته يشعر بأنه مقتلع من جذوره، لذلك لم يستقر في مكان واحد. كان دائم التنقل... وأبي تشبّه به بالرغم من انه لم يولد هنا.

- وأنت؟

سألته وهي تتذكر بيوته العديدة في لندن ونيويورك وغيرها...

- انني اشبههما كثيراً، وإرث البولزيون اعطاني راحة نفسية كبيرة. لقد شعرت كأنني أعيد العدل الى نصابه وأريحهما في قبرهما. انا لا أريد العيش دائماً هنا... فالناس أهم من الأمكنة، والانسان بقرب من يحب لا يسأل أين سيعيش...

ثم سكت قليلا وتابع:

- اعتقد انك لا تشاطرينني هذا الرأي. انت متعلقة بهذا المكان اكثر من أهله، الا اذا كنت تحبين روبير حقاً؟

فاجأها بهذا السؤال غير المنتظر. لقد كان قريباً جداً منذ لحظات. شعرت انها تدخل الى اعماقه وتتغلغل... لكنه الآن عاد يستفزها من جديد:

- هذا لا يعنيك، وليس لدي النية لأحدثك عن مشاعري تجاه روبير.

- لا أصر أبداً على سماعها.

قالها بسخرية واضحة ثم تناول يدها مشيراً الى اصبعها:

- لو أراد الزواج فعلا لوضع خاتم الخطوبة في يدك على الأقل.

- انت مخطىء، انا لست بحاجة لخاتم من أجل...

- أنا لا أتحدث فقط عن الخاتم.

قاطعها لوران وجذبها نحوه بقوة ولم يسمح لها بأي تعليق على عناقه المفاجىء ثم صرخ في وجهها:

- قولي لروبير ان كل شيء انتهى بينكما.

- لا!

قالت ذلك وصدرها يخفق بقوة ويداها ترتعشان كورق الخريف بينما لم تعد تشعر بركبتيها قادرتين على حملها.

- لا تكوني عنيدة، انك تشبهين جدتك ولكن لا تكرري اخطاءها. انت تحبينني انا وليس روبير.

- انني.. انني أحبه.

- لقد رأيتك معه... لا تحاولي الكذب عليّ وعليه.

- وأنا أيضا رأيتك مع ايلين، اذا كنت تريد ان تجبرني ان اقول انني منجذبة نحوك فهذا ليس شيئاً غريباً. انها رغبة فقط لكنني لا أريدها، أريد الأشياء التي لا تتمتع بها، أريد رقة وحناناً، أريد احتراماً ومشاعر صادقة وحساسة. ابتعد عن طريقي والا كرهت نفسي وحياتي.

كانت تقول كلامها غاضبة حانقة والدموع تكاد تنفر من عينيها بينما وجهه يتصلب ويزداد رجولة:

- ستفعلين مثلها... ستقلدين جدتك، بكل الخوف والجبن.

- من يتكلم عن الجبن؟

- أنا أتكلم عنه، نعم. فجدتك كان عليها ان تكسر التقاليد وتهرب مع حبيبها خاصة بعد ان عرفت انها مظلومة كُذب عليها، لكنها فضلت البقاء حفاظاً على الفروض الاجتماعية فدمرت حياتها وحياة جدي. لكنني انا لست مثل مارك ولن أقضي حياتي في كتابة

الرسائل بانتظار الجواب متألماً مقهوراً وحيداً... انا اكافح من اجل ما أريد. أما أنت فكوني جبانة وستبقين وحدك.

- نعم أريد البقاء وحدي، فالوحدة أفضل من العذاب بقربك.

واستدارت هاربة بوجه مرير من الألم وذهن ترتسم فيه صورة لوران وحدها...

١١ - الصخرة تهتز...

طوت مورغانا آخر رسالة في الحقيبة الصغيرة ورتبتها في مكانها بينما خرجت من فم الوالدة الجالسة امامها زفرة طويلة:

- حياتان ضاعتا! اية تعاسة!

- لم اكن لاصدق، فحتى عندما اوشكت على فتحها كنت ما ازال آمل ان ارى وصفات طعام او شيئاً من هذا القبيل.

- يا ابنتي انها قصة قديمة الآن، لماذا انت مهتمة هكذا؟

- اعتقد انني لن اؤمن بالحب بعد الآن.

قالتها مورغانا مع ضحكة صفراء تعيسة.

- تصريح غريب لشابة مخطوبة! وماذا ستفعلين بالرسائل؟

- انها قصة قديمة! معك حق.

وامسكت الفتاة برزمة الرسائل فأطعمتها لنيران المدفأة.
ـ لكنها ذكريات العائلة. . .
ـ اية ذكريات هذه؟ يجب مواجهة الحقيقة، عائلة بيتريث انتهت وبولزيون سيصبح مركزاً للسياحة والمحاضرات ابتداء من اول السنة. فلوران لا ينوي العيش هنا او ان يسترد اسم عائلتنا، فاذا اختفى اسم بتريث فهذا ليس شيئاً غريباً.
ـ لكنك كنت متعلقة به كثيراً؟
ـ نعم في السابق، اما الآن فلا علاقة لي بهذا الموضوع ثم ان . . .
وتذكرت جملة لوران «الناس اهم من الأمكنة». . . ارادت قولها لكنها عدلت.
ـ ثم انني راحلة من هنا قريباً.
ـ ستبقين قريبة على كل حال بعد زواجك.
ـ لا. لم اتحدث عن الزواج. سأذهب للبحث عن عمل بعيداً عن هنا.
ـ وماذا سيقول لوران يا ابنتي؟
ـ لن يقول شيئاً. لقد تسلى قليلاً باللعب باعصابنا، وانتهى كل شيء الآن.
ـ وهل تعتقدين بجدية ما اسمعه عن علاقته بايلين؟
ـ لا ادري. على كل، هذا لن يغير شيئاً. فأنا لا اعني له شيئاً.
ـ آه. . . ولكن نظراته بعض المرات حين تمرين ليست عادية. . .
ـ انها اكثر من عادية، انها رغبة لا اكثر ولا اقل.
ثم انتبهت الى تعابير وجه امها فاستدركت:
ـ لا تخافي. لم يحصل شيء مما تظنين، ثم ان علي ان اكمل نقل اغراضي الى الغرفة الجديدة.

واستدارت صاعدة الى الطابق العلوي مارة امام باب غرفة جدتها. فهزت رأسها متأسفة، "لقد أضاعت حياتها وحياة حبيبها، لكنها على الأقل كانت لديها الرسائل، اما انا فلا املك شيئاً".
هذا المساء كانت على موعد مع روبير لتأخذ معه كأس عصير في مكان قريب، فامضت وقتها صامتة حتى فقد اعصابه وبدأ يستجوبها:
ـ ما بك يا مورغانا؟ اراك ما زلت تفكرين بقصص جدتك القديمة. بحق السماء الا تظنين اننا اصبحنا في عصر آخر؟ ثم ماذا حدا بلوران ليخبرك بكل هذه التفاصيل؟
ـ ربما ادرك انني اريد معرفة الحقيقة؟
ـ في جميع الأحوال، لم يعد في اليد حيلة، فبدل ان تفكري بالماضي، فكري بالمستقبل الآن. . . مستقبلنا نحن. . . متى تريدين ان نعلن الخطوبة رسمياً؟
لم تستطع مورغانا التطلع الى وجه خطيبها فأبقت نظرها معلقاً بالطاولة ثم اجابته:
ـ لسنا في عجلة على ما اظن؟
ـ بالطبع. ولكن بعد عشرة ايام ستأتي سهرة الميلاد، واظنها مناسبة سعيدة للاعلان عن الخطوبة، ماذا تقولين؟
ـ احتاج الى مزيد من الوقت للتفكير، ثم ان فترة الأعياد تكون مليئة بالعمل والارهاق.
ـ يا عزيزتي ما هذا الكلام؟ فالزبائن لا يملأون الفندق وغرفه ثم ان فان كوسين لن يستبقيك ليلة الميلاد ويوم اعلان خطوبتك لكي تخدميه.
ـ لا اعرف مشاريعه، لكني اشك ان يبقى هنا. ربما يفضل

الاحتفال بالعيد مع اهله في الولايات المتحدة.

ـ ليس اذا اصرت ايلين على بقائه هنا. تعرفين انني لست فرحاً بامكانية مصاهرة فان كوسين فهو رجل وصولي... تصوري انه ارسل شخصاً منذ ايام للتدقيق في حسابات المزرعة، حتى يتأكد من كل شيء فيما لو اراد تنفيذ مشروعه باقامة اجازات خاصة لتعلم ركوب الخيل.

ـ وهل ناقشتما هذا الموضوع؟ هل سيشتري المزرعة؟

ـ لا ادري لكنه كان يتحدث مع ابي ذلك اليوم حول سعر المباني.

ـ وهل يريد والدك بيع المزرعة؟ انه يحبها كثيراً على ما اظن؟

ـ انه فعلاً يحبها، لكن والدتي تفضل الابتعاد عن هنا والاقتراب اكثر من لندن. على كل، هذا لن يؤثر علينا الا اذا كنت تفضلين العيش بقرب بولزيون.

ـ لا... لا ابداً.

كانت تقولها بغير تفكير واضح فذهنها مشغول بكيفية ترك كل شيء والرحيل من هنا... غداً ستطلب من لوران فسخ العقد. لكنه لم يكن موجوداً في الصباح فوالدتها ردت بأنه ذهب الى لندن وقال انه سيعود ليقضي ليلة الميلاد هنا.

بعد ايام قليلة كانت مورغانا جالسة الى مكتبها الصغير عندما شعرت بنظرات تتسلط عليها، فالتفتت لترى ايلين دونليفين واقفة على عتبة الباب.

ـ آه... نهارك سعيد.

ـ نهارك سعيد.

ثم تقدمت الى المكتب الصغير وجلست الى جانبه موقعة بعض الأوراق على الأرض، ولم تكلف نفسها عناء التطلع اليها بينما ركزت

نظرها على مورغانا قائلة:

ـ امي تحضر لائحة المدعوين لسهرة الميلاد وانت لم تعطي حتى الآن جواباً...

ـ آه حقاً. انني آسفة لكن سوء الحظ شاء عكس ما اريد، فقد جاءني اتصال هاتفي اليوم لحجز طاولة عشاء لعشرة اشخاص، واعتقد انه من الأفضل ان ابقى هنا لمساعدتهم. فاعتذري لي من والدتك اذا سمحت.

ـ حسناً، اعتقد انك فعلت عين الصواب.

ـ اعتقد ذلك.

قالتها مورغانا بابتسامة خفيفة وعادت تشغل نفسها بالعمل. لكن ايلين علقت:

ـ لست وحدك من هذا الرأي، لقد اكدت للوران بأنه من المستحسن عدم حضورك.

ـ وما علاقة لوران بهذا الموضوع؟

ـ هه... توقفي عن هذا الكذب، فاذا كنت تستطيعين خداع اخي المسكين فمن الصعب عليك خداعي. انت مغرومة حتى اذنيك بلوران وهو لا يريد ذلك. لا بل يعترف بأنه اخطأ في دفعك الى هذا الحد!

ـ يعترف لمن... لك؟

ـ والا لماذا جئتك الى هنا؟ هل تعتقدين انني احب هذه المهمة؟ فلو كان بينك وبينه علاقة عابرة لما اهتممت، انها شيء عادي هذه الأيام. لكنك امرأة فاضلة كما تعتقدين، أليس كذلك؟

ـ نعم بدون شك...

كابوس... انه كابوس متى سأستيقظ منه؟ كانت تردد مورغانا

بينها وبين نفسها بينما اكملت ايلين:

- اعتقد انه من المستحسن ان ترحلي فوراً، انه الحل المثالي ولا تقلقي بشأن هذا العقد التافه فسيسعد لوران ان يفسخه على الفور لأننا سنتزوج قريباً، وقد سئم هذه الألاعيب السخيفة.

- انك انسانة حقيرة.

لمعت عينا ايلين من الشر والحقد لكنها هدأت نفسها قائلة:

- انني واقعية يا عزيزتي. وفي النهاية لوران يعرف ماذا يريد من المرأة، ولا يهتم بأحلامك الرومنطيقية الكبيرة. ربما كنت مسلية لفترة لكنك الآن اصبحت مزعجة له، أليس كذلك؟

نهضت مورغانا واقفة.

- اخرجي من هنا!

ثم اغمضت عينيها مخافة ان يدفعها منظر هذه الفتاة اللئيمة للهجوم على وجهها وتجريحه بأظافرها حتى تسيل الدماء وتشفي غليلها.

- حسناً، لقد كان حديثاً بنّاء.

ثم خرجت متعالية متكبرة بينما سقطت مورغانا على كرسيها واضعة رأسها بين يديها ترتجف وتتمتم.... يا الهي... انهما يسخران مني. وسالت دموعها الحارة بصمت حارق...

غضب روبير كان مواسياً لها الى حد ما:

- عشاء العيد في بولزيون... منذ متى تقبلون بحفلات مثل هذه؟

- منذ ان قبلت حجزاً لعشرة اشخاص!

قالتها مورغانا باصرار.

- آه، انها فكرة غير مقبولة فلو كنا متزوجين لما قبلت بخدمة

الزبائن.

ابتسمت مورغانا:

- طبعاً لا... كنت خدمتك انت بالمقابل.

- لكني اريدك ان تأتي الى حفلتنا.

- لا يا روبير، لا اريد اعلان الخطوبة قبل ان نتأكد من مشاعرنا.

- انني اكيد مما اكنه لك يا مورغانا، واريد الزواج بأسرع وقت ممكن.

- اسمعني قليلاً. انا غير جاهزة للزواج الآن. اريد الرحيل لمدة، اجد فيها عملاً وبعدها...

- ترحلين؟ الى اين؟

- لا اعرف. كان علي ان افعل ذلك قبل الآن... آه ارجوك يا روبير افهمني قليلاً.

ارتد الشاب الى الوراء وحدق في عينيها ملياً وبدت ملامح الصرامة على وجهه:

- اني افهمك جيداً الآن. لقد اغمضت عيني كثيراً، ورفضت الاستماع لأحد. لكن يبدو انك فعلاً تحبين فان كوسين، لقد نبهتني ايلين الى ذلك ولم اقتنع.

- اصمت ارجوك... انك مخطىء.

- لا، لست مخطئاً. ايلين قالت لي ذلك منذ البداية. انت لا تريدين الزواج مني، انت تريدين فقط ايهام لوران بعدم اهتمامك به... هل تنكرين ذلك؟

كان اليأس واضحاً على وجهه وفي كلماته بينما تملك مورغانا صمت طويل لم تقطعه الا بقولها:

- ليس صحيحاً هذا الكلام. فأختك كذبت عليك في نقطة

مهمة. انا اريد الزواج منك بالفعل. وكنت آمل انه مع الوقت...

- يا الهي تريدين الزواج بي وانت تحبين رجلاً آخر؟

- اني آسفة يا روبير، لم اكن اريد ايذاءك.

- لا اريد ان اعرف ماذا كنت تريدين. ولا تأسفي... لا اريد شفقتك.

ونهض متوجهاً نحو الباب:

- وداعاً مورغانا، لا تطلبي مني ان اتمنى لك عيداً سعيداً.

تلك الليلة لم تنم مورغانا ولم يخلد فكرها للراحة، فالعذاب بدأ يصيبها عميقاً، والجزاء على ما فعلت بروبير يأتيها قاسياً. ضميرها يعذبها، لكن ماذا ستفعل؟

قبل العيد بيومين بدأت الاشغال تكثر عليها وكانت قد اعلمت والدتها بفسخ الخطوبة مع روبير، بينما الزا لم تأسف على ما حصل وانبأتها انها كانت قد رأت ذلك في الورق، لأن مصير هذا الشاب متعلق بفتاة اخرى.

لوران وصل بعد ظهر يوم العيد بينما كانت تحضر طاولة الطعام لعشرة اشخاص. شعرت بحضوره قربها فالتفتت... كان واقفاً وراءها. ذعرت ووقعت الكأس من يدها على الأرض.

- اوه... انظر ماذا حصل بسببك!

- اتركيها، ستجرحين يديك لو لمستها... يبدو انك مضطربة.

- انا... مضطربة. لا ابداً. سأحضر مكنسة ومجرفة وانظف المكان.

- لا حاجة لذلك. الأفضل ان تشربي شيئاً مهدئاً.

ثم سألها عن الطاولة التي كانت تعدها للعيد:

- انا نستقبل عائلة من عشرة اشخاص.

- ولهذا اراك في هذا المنظر؟

- اذا كان منظري لا يعجبك فأنا لن ابقى طويلاً هنا على كل حال.

- ماذا افهم من هذا الكلام؟ ارجوك توضيحه لأن لا قدرة عندي على حل الالغاز بعد هذا النهار المتعب.

- لا بأس، فستقضي سهرة ممتعة على ما اظن هذه الليلة.

- بالفعل فأنا انتظرها بفارغ الصبر. لكن فرحي يتناقص رويداً رويداً الآن. فماذا حصل لك؟

- لقد اصبحت واقعية... هذا كل شيء. انا تاركة هذا المكان فما هي مدة الانذار المطلوبة؟ شهر؟ اسبوع؟

بقي الشاب جامداً في مكانه بدون حراك بينما شعرت مورغانا بالغضب يحتل تقاطيع وجهه.

- لن تذهبي من هنا.

- لا تستطيع منعي. انتهت المهزلة وانا راحلة.

- ماذا ستفعلين بخطيبك؟

- هذا لا يخصك، فاذا رحلت فذلك بسببك انت.

- انك تصرين على الجبن اذن، لماذا لا تكونين صادقة مع نفسك مرة واحدة فقط؟

- اوه. انت مثال الصدق... أليس كذلك؟ تريد الحقيقة؟ انني اكرهك واحتقرك لكل ما كنت تريد القيام به معي. انت مراوغ كبير يا سيد لوران فان كوسين، لكني لن اكون اسماً في لائحتك.

- ليس لدي لائحة.

- طبعاً... لأنها ستكون طويلة. استعمل الدماغ الالكتروني، لكنك لن ترى اسمي ابداً... يا الهي ما الذي جاء بك الى هنا؟

كنت اتمنى لو لم ارك في حياتي ابداً.

- اني اشاطرك هذه الرغبة، لكن لا تقلقي فلا حاجة ان تغادري بولزبون لتتخلصي مني.

نظرت اليه يستدير خارجاً من القاعة ثم سمعت باب غرفته يغلق بقوة.

ومثل آلة متحركة أنهت مورغانا تحضير الطاولة، واتجهت الى المطبخ كي تساعد الزا في تحضير الأطعمة.

ومضى العشاء العائلي بكل بساطة وغبطة، فعائلة بارتون بأفرادها العشرة لطيفة الطباع انيستها، لم تزعج احداً. وما ان انتهت الحفلة وودعتهم مورغانا الى باب الفندق، حتى سمعت صوت جرس الهاتف في الممر فأمسكت بالسماعة لتسمع صوت ايلين:

- ايتها الطاعون...

ارادت فوراً ان تقفل الخط لكن الفتاة اكملت:

- اعطيني لوران فوراً... ماذا قلت له؟ لكن لن تصلي الى اهدافك.

- لم اقل له شيئاً، لقد انبأته برحيلي...

- كاذبة، فلماذا يعود الى الولايات المتحدة اذن؟

- من؟ لوران؟

- لا حاجة ان تغادري بولزبون حتى تتخلصي مني.

- ومن قال لك هذا الكلام؟

- والدي... فيبدو انه التقاه هذا المساء وابلغه ان محاميه سيتكفلون بامر شراء المزرعة لأنه سيعود نهائياً الى هناك. اذهبي واحضريه، اريد ان اكلمه.

- لحظة...

وضعت مورغانا سماعة الهاتف واتجهت الى غرفة لوران. لكنها كانت فارغة ليست منه فحسب بل من اغراضه واشيائه التي تعودت على رؤيتها. قلبها ينقبض، انها لم تفهم ما قصده.. خرجت فرأت والدتها تعبر الممر حاملة صينية الشاي. سألتها عنه... فقالت:

- نعم يا ابنتي، ذهب وقت العشاء. ألم يقل لك؟

كانت عيناها مفتوحتين على وسعهما وهي تجيب:

- بلى لكن لم افهم ذلك، الم يقل متى سيعود؟

- لا. تعرفين انه لا يعلم احداً بذلك... لماذا هذه الاسئلة؟ ماذا حصل؟

- لا شيء. لا شيء. سأخرج قليلاً لأتنشق الهواء.

- انها فكرة جيدة يا ابنتي.

كانت ليلة باردة لكنها صافية، سارت مورغانا وهي تلف رقبتها بياقة المعطف الكبيرة متجهة نحو صخرة الامنيات التي طلبت منها امنيات سابقة ولم تتحرك. لكن لوران ذهب ولن يعود بعد الآن... انها تعرف ذلك. ستندم كل حياتها على ما حصل... وصلت الى الحجر متعبة مرهقة فوضعت يدها على الصخر البارد واغمضت عينيها وهي تردد بصوت مسموع:

- لا اريده ان يرحل... اجعليه يعود، ارجوك ايتها الصخرة. اعيديه اليّ.

لكن الحجر لم يتحرك ولم يهتز شعرة واحدة. لا امل في عودته... لا امل.

ثم استدارت في طريق العودة الى البيت:

- انها صخرة كاذبة، يا مورغانا ولو كنت مكانك لاعتمدت على نفسي.

ـ لوران ... آه لوران!

ألقت بنفسها بين ذراعيه، ضمها الى صدره وارتاحت على كتفه بسكون وطيف من الشعور بالراحة والأمان. وعندما رفعت رأسها سألته:

ـ ولكن ماذا تفعل هنا؟ اعتقدتك سافرت الى الولايات المتحدة؟

ـ سأذهب ولكن معك. لقد تركت بولزيون بنية الرحيل دون رجعة، لكن حين مررت على المزرعة علمت بعض الأشياء الصغيرة وقررت ان اؤخر سفري.

ـ وماذا علمت؟

سألته ذلك وقلبها يخفق بشدة وعنف.

ـ السيد دونليفين يظن انه سيفقد ابنته ويربح ابنه، فاذا كانت ايلين استطاعت ان تقنع والدها بأني على وشك الزواج منها فلا بد ان تكون قد اقنعتك انت ايضاً بذلك. فقلت لنفسي لماذا حاولت كل ما في وسعها الا تخبرني بفسخ خطوبتك مع روبير؟ لذلك قررت العودة والاستفسار عما حصل.

خفضت مورغانا رأسها نحو الأرض:

ـ ايلين جاءت الي تخبرني انها على علم بأني احبك. وحسب قولها انك مزعوج جداً من شعوري هذا، ولا تريد مني اكثر من قضاء وطرك.

ـ يا الهي وهل صدقتها؟

ـ لم اشأ تصديقها، لكنك كنت دائماً معها... كنت حبيبها؟

ـ لم اكن يوماً حبيبها.

قالها باصرار وتأكيد صادقين...

ـ لكني رأيتك تدخل الى غرفتها في تلك الليلة.

ارتد برأسه متعجباً.

ـ بالفعل فقد كانت تريد تغيير اللمبة المحروقة في غرفتها، فغيرتها وخرجت فوراً.

ـ وزياراتك اليومية الى المزرعة؟

ـ كانت لمراقبتك انت وروبير. لقد كنت غيوراً. وكنت ارتاح عندما اراكما تتبادلان نظرات تعيسة.

ـ كنت اريد خنقها بيدي. يا الهي لقد طلبتك على الهاتف ونسيت السماعة مرفوعة وهي تنتظر...

ـ اوه لا بد انها اقفلت الخط... لا تهتمي بها بعد الآن. اريد ان اصارحك بشيء.... اريد ان اتزوجك. فهل تقبلين ان تلفي العالم برفقتي؟ اريدك بجانبي ليل نهار. لقد اشتريت المزرعة حتى نستطيع المجيء اليها دائماً. فهل تتحملين مغادرة بولزيون؟ انت متعلقة بها...

ـ انك لا تعرف كم انا متعلقة بك. سأذهب معك حيثما شئت.

ثم امسكت بيديه تلفهما حول عنقها.

ـ كل ما اريده هو ان تحبني كما احبك.

ـ دعاؤك مستجاب من الآن والى الأبد.

ثم غرقا في عناق طويل ولم يريا كيف كانت صخرة الامنيات تهتز بخفة، بخفة...